رباعيات

عمر الخيام

الفلكي الشاعر الفيلسوف الفارسي

ترجمها نظماً

محمد السباعي

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد على بمصر
لصاحبها : مصطفى محمد

الطبعة الرابعة



مطبعة مصطفى محمد
صاحب المكتبة التجارية الكبرى بمصر

رباعيات عمر الخيام

الفلكي الشاعر الفيلسوف الفارسي

ترجمها نظما

محمد السباعي

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد على بمصر
لصاحبها : مصطفى محمد

الطبعة الرابعة

مطبعة مصطفى محمد
صاحب المكتبة التجارية الكبرى بمصر

تقدمة الكتاب

الى صاحب العزة أحمد شوقى بك

الى شاعر النيل . ونابغة الجيل . وفخر مصر . وسيد شعراء العصر . الى امام أهل الفن . وبديع هذا الزمن . وكوكب سماء الشعر . وغرة جبين الدهر . أهدى هذا السفر . وما أنا فى ذلك إلا كمهدى التمر الى هجر والوشى الى اليمن ، والخمر الى قطربل ، والورد الى جور ، والمسك الى دارين . أو كواهب السيل قطرة . والبحر درّة . والروض ثمرة . والكنز تبرة . فلا غرو اذا تمثلت فيك قول القائل :

يا مالك الكاسرح القريض تقبّلن

منى حمولة مستتين عجاف

وأنا الذى أهدى أقل بهارة

حسناً لأحسن روضة مئناف

وقول الآخر :

وأرانا فى مدحه كيف كنّا

كالمنّى بأن يضىء الضياء

أى مصباح قادح زاد فى الاصر

صباح نوراً ان لم نكن جهلاء

لقد حليت كتابى هذا بتاج اسمك البهيج . وعطرته بعبير ذكرك الأريج . فأنشأت حوله من هذا وذاك جواً خياليًا صافياً . زاهياً . تهب فيه من عوالم ذكراك نفحات العبقرية ذكية فياحة . وتلمع فيه لمحات اللوذعية بهية وضاحة . ويشنف فيه أذن الخيال صدى لحنك

الشجي . ونغمك الشهي . فكأن القارئ بين الرياض والخمائل . والاصباء والشمائل . والحور العين العقائل . وخرير الجداول . وهدير البلابل . وبين الأزاهر والمزاهر يتمثل قول القائل :

حتى يخيل أني شارب ثمل

بين الرياض وبين الكأس والوتر

محمد السباعي



كلمة عن
عمر الخيام
الشاعر الفلكي الفارسي

ولد عمر الخيام بمدينة نيسابور من أعمال خراسان فى الشطر الثانى من القرن الحادى عشر وتوفى قبل انتهاء الربع الأول من القرن الثانى عشر . وسيرة حياته تمتزج في جميع أدوارها أشدّ امتزاج وألصقه بسيرة رجلين من مشهورى ذلك العصر والمصر .

كان أحد هؤلاء الثلاثة هو نظام الملك وزير السلطان ألب أرسلان نجل طغرل بك التترى ثم وزير حفيده الملك شاه بعد ذلك . وطغرل بك هو الذي انتزع ملك فارس من خليفة السلطان محمود الأكبر ثم أسس الدولة السلجوقية التى ما لبثت ان استفزت أوربا الى إشعال الحروب الصليبية . وقد أورد نظام الملك هذا فى وصيته التى تركها تذكارا لخلفه من الساسة النبذة الآتية :

« كان الامام الموفق النيسابورى من جلة علماء خراسان مبجلاً مهيباً . وقد نيف على الخمس والثمانين . وكان السائد في عقيدة أهل زمانه أن كل من قرأ عليه العلوم العربية نبغ فيها و بلغ الغاية وانساق اليه العز والجاه والنعمة والثراء . ولذلك وجهنى أبى من بلدة طوس الى نيسابور مع عبد الصمد الفقيه لأقرأ على ذلك الاستاذ النابغة الجليل . وهنالك حظيت به وحضرت عليه فوشجت بيننا أواصر المودة وتأكدت عرى الصداقة ولحظنى بعين عنايته وأنزلته من نفسى أخص منزلة وألطفها . ولبثنا على

ذلك سنين عدة . وكنت أول ما نزلت به وجلست فى حلقه لقيت تلميذين فى مثل سنى حديثى عهد مثلى بالقراءة على الامام الموفق — وهما عمر الخيام والحسن بن الصباح وكانا آيتين فى الفطنة والذكاء فأنس كلٌّ منا بصاحبيه ونمت بيننا نحن الثلاثة أحسن صحبة وأمتنها . فكان اذا قام الامام عن الدرس وانفضت الحلقة اجتمعنا فتذاكرنا ما تلقيناه عليه من المعارف . وكان الخيام من أهالى نيسابور أما الحسن بن الصباح فكان أبوه ناسكا ورعا متقشفاً ولكنه كان زنديقاً فأقبل الحسن يوماً على عمر الخيام فقال له : لقد صحَّ في أذهان الناس قاطبة انه ليس من تلميذ يتخرج على الامام الموفق إلا مصيباً عزًّا واقبالاً وثروة وجاها . فهب ان ذلك لم يتفق لنا نحن الثلاثة جميعاً فانه لابد أن يقع لواحد منا . فماذا يكون حق الاثنين الخائبين على ذلك الفائز الظافر ؟ » قلنا له : اقترح ما تشاء . فقال : « فلنتعاهد الآن على أنه من أصاب منا الثراء فعليه أن يقسمه فيما بيننا نحن الثلاثة على السواء لا يؤثر نفسه بشيء

دون أخويه » فأجبنا « ليكن ذلك كما قلت » ثم تحالفنا على ذلك وتعاهدنا . ومرّت الاعوام على ذلك وغادرت خراسان متجولا في فضاء الله الى غزنة ثم الى كابل . ولما عدت تقلدت منصب الوزارة فى سلطنة السلطان ألب ارسلان وبعد مدة من الزمن عرف ذلك صاحباى فأتيانى يطلبان انجاز وعدى القديم واشراكهما فيما انحاز لى من النعمة والثراء » .

وبرّ الوزير بقسمه وأنجز وعده . والتمس الحسن بن الصباح منصباً فى السلطنة فمنحه السلطان إياه بوساطة الوزير . ولكن الحسن كره ذلك المنصب لانحطاط رتبته عما كان يطمح اليه من شرف المنزلة . فترك المنصب ودسّ نفسه فى بلاط أحد أمراء المشرق منغمسا فى غمار الدسائس والمكايد محاولاً اسقاط أميره واغتصاب الامارة . وبعد كثير من التجولات والتقلبات صار الحسن زعيم الطائفة المسماة « الاسماعيلية » ففى ١٠٩٠ بعد الميلاد استولى على قلعة الموت الواقعة جنوبى بحر القزيين . ومن ثم فصاعدا ذاع

صيت ابن الصباح وأصبح اسمه مبعث الرعب والذعر فى جيوش الصليبيين حتى سموه « شيخ الجبال » ومبعث الرعب أيضاً فى جميع أنحاء العالم الاسلامي وسميت فرقته فرقة الحشاشين — لعله نسبة الى المخدّر « الحشيش » الذى كان زعيمهم الحسن يفشيه بينهم تخديرًا لأعصابهم قصد الاستيلاء على عقولهم حتى يسيرهم فيما يشاء من أغراضه المخوفة ومقاصده الخطرة المرهوبة . وكان من بين ضحايا « الحشاشين » العديدة نظام الملك نفسه صديق زعيمهم وقرين حداثته وزميل تلمذته .

وقصد عمر الخيام الوزير أيضاً غير طامع في رتبة أو طامح الى منصب فخاطبه بقوله :

« لست أبغى لديك أكثر من أن تدعنى أتفيأ طرفا من ظلال نعمتك الفيحاء . لأنشر ضياء العلم وأدعو لك بدوام العز وطول البقاء » . فأجابه الوزير نظام الملك الى ذلك وأجرى عليه رزقا قدره ١٢٠٠ مثقال ذهب فى العام تصرف له من خزينة نيسابور .

وكذلك عاش ومات عمر الخيام بمدينة نيسابور فى طلب العلم على اختلاف فنونه وأبوابه ولاسيما علم الفلك الذى بلغ فيه الذروة والذؤابة .

ولما أراد الملك شاه تعديل التقويم السنوى كان عمر الخيام أحد الذين انتدبوا لذلك فأظهر من الحذق والبراعة ما كان موضع الاعجاب والاجلال . وكان من بين المعجبين بذلك المؤرخ الانكليزى الأعظم « جيبون » صاحب تاريخ « هبوط وسقوط الدولة الرومانية » حتى قال « ان مذهب الخيام في تقويمه ليفضل المذهب الجريجورى دقة وإحكاما »

ومما ألفه الخيام أيضاً فى علم النجوم بضعة جداول فلكية . وقد عنى الفرنس آنفاً بترجمة ونشر مؤلف له فى علم الجبر مكتوب بالعربية .

ولقبه « الخيام » أى صانع الخيام يدلّ على ما لعله كان يعالجه أيام فقره وخموله من حرفة الخيامة قبل أن يفكه الوزير من قيود الحاجة ويفيده الغنى واليسار . وقد أشار عمر الى احترافه بصناعة الخيام فى بعض أبيات

فكاهية من نظمه فذلك حيث يقول :

« ان الخيّام الذى خاط خيام العلم قد وقع فى تنُّور الحزن فأحرقته ناره — وقد قطع مقراض النحس أطناب حياته . وباع سمسار الامل عمره فى سوق التلف بلا ثمن »

ومع ما كان يفيضه السلطان على الخيام من النعم والفواضل فان ما أبداه عمر من الجرأة الفكرية فى شعره ومن الآراء الاباحية جعله مستنكرًا فى عيون أهل عصره حتى استهدف لسهام مطاعنهم .

ويقال ان أشدّ الناس إبغاضا له ورعبا منه كانت طائفة المتصوفة اذ ما برح يعرّض فى شعره باعتقاداتها على سبيل السخرية والتفنيد مصرّحا ان طريقة التصوف لاتوصل الى الله ولاتكشف سدول الغيب عن نور الحق . بل ان طريقة السكر هى التى تفعل ذلك والكاس هى المفتاح الأوحد لباب الغيب وكنوزه والنبراس الفريد لاجتلاء أسرار الوحدانية من وراء ستر الكائنات المسجف

وقد استعار كثيرًا من معانيه وأفكاره من خلفه من

شعراء الفرس وفى جملتهم حافظ الشيرازى ولكنهم صبوا ما أخذوه من معانى الخيام فى قالب تصوفى أحبّ الى نفوس الشعب الفارسى وأفتن لألبابه. وما زال الفرس أمة سريعة الى الشك سريعة الى الايمان — مولعة بالملاذ الحسية ولوعها بالملاذ النفسانية — يعيشون و ينعمون فى جوّ مزيج من الصنفين يسبحون فيه لذة وطربا بين عالمى الارض والسماء وملكوتى الدنيا والآخرة سبحا طويلاً بأجنحة استعارة أو كناية شعرية تنطبق على المقصدين وتحتمل الوجهين وتقبل التأويلين. ولكن عمر كان أشدّ صراحة وجهرًا بمعتقده. فلما أعياه أن يستكشف قوة مسيرة للكون غير القدر المحتوم أو عناية متعهدة له متفقدة لشؤونه خلاف القضاء المحموم. وأعجزه ادراك أن هناك حياة أخرى بعد الحياة الدنيا شرع يغتنم فرص اللذة وينتهز خلسات النعيم من حياته الدنيا جهد طاقته متمثلاً قول القائل:

خذ من زمانك ما أعطاك مغتنما

وأنت ناه لهذا الدهر آمره

فالعيش كالكاس تستحلى أوائله
لكنه ربما مجت أواخره

وقول الآخر :

يا كر الى اللذات واركب لها
سوابق اللهو ذوات المراح
من قبل أن ترشف شمس الضحى
ريق الغوادى من ثغور الأقاح

وقول الآخر :

ما مضى فات والمؤمل غيب
ولك الساعة التى أنت فيها

وآثر الخيام أن يرفه النفس ويروح الروح من طريق الملاذ الحسية والشهوات المادية حاملا نفسه على الرضا بما قدمت اليه يد القدر على مائدة الحياة من مناعم مطاعمها ومطارب مشاربها والاكتفاء بثمرة الدنيا كما خلقها القدر على أن يضايق نفسه باستجلاء غوامض الأزل والأبد واستطلاع ما وراء الطبيعة ومابعد القبر . بيد أن شهواته

الدنيوية لم تكن مقصورة على المادى الحسىّ منها بل ضرب بسهم وافر فى ملاذ العلوم العقلية وكل ما صنعه عمر هو تحبيذ اللذات الحسية فى صيغة يشوبها شىء من الهزل والدعابة بشكل غامض خفى لا يفوت نظر الأريب الثاقب — متهكماً أثناء ذلك من غرور الانسان بعقله الضعيف وذهنه المظلم واجترائه بهذا السلاح الكليل على محاولة هتك ما أعجز البشر من حجاب الغيب الكثيف وبابه الموصد.

كان الخيام راجح العقل ثاقب الذهن سمح البديهة حافل القريحة بديع الخيال حريصاً على استطلاع الحقيقة صباً بها مستهاماً . وقد ثار فى وجه السائد فى عصره من فاسد العقائد . فكان يرى أن أساس الكون ومحوره هو الاضطرار والجبر والقدر الازلى والقضاء الاعمى . فلما وجد أن عبقريته وعلمه لم يعدوا أن زاداه بصيرة بفساد العالم وخراب الكون واختلال نظامه قذف بعبقريته وعلمه بين أنقاض هذا الخراب العام والفساد الشامل . ثم جعل من تظاهره بتحبيذ الملاذ الحسية ذريعة وسلما الى تعاطيه فى

رباعياته تلك المسائل العويصة : الاله والقدر والروح والمادة والخير والشر – التى يظل افتتاح بابها واثارة وحشها أسهل بكثير من مطاردته واقتفاء آثاره الى مدى يصبح معه استقراء تلك المسائل واستقصاؤها شيئاً متعباً مسؤوماً .

لقد ذهب فريق من النقاد الى أن عمر الخيام لم يكن فى شعره ذلك الشهوانى المادى الاباحى كما يدلنا ظاهر ألفاظه وانما كان صوفياً يرمز للذات الالهية بألفاظ « الخمر » و « الساقى » و « الكاس » وهلم جرّا كحافظ الشيرازى وابن الفارض وغيرهما . ولكنّ أضداد هذا المذهب يقولون ان المدوّن المثبوت فى سيرة الخيام من فرط إدمانه الكاس واستهتاره بالشراب ينفى ذلك الرأى نفياً قطعياً . فكيفما كانت الخمرة المعنوية التى تغنى بأوصافها حافظ الشيرازى وقال فيها ابن الفارض :

يقولون لى صفها فأنت بوصفها خبير. أجل عندى بأوصافها علم
صفاء ولا ماء ولطف ولا هوا ونور ولا نار وروح ولا جسم

وقال فيها أيضاً :

شربنا على ذكر الحبيب مدامة

سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم

فان خمرة عمر الخيام لم تكن إلا عصير العنب المتهدل من كرومه يعصر سائلا محسوساً مرشوفا من أقداح البلور وقوارير الفضة الرنانة . ولم يقتصر الخيام على شربها مع الندمان فى مجالس الشراب . بل كان يحسوها فى الخلوة زاعما ان ماتحدثه عنده من النشوة هو أقرب وسيلة وأخصر سبيل الى ايصاله من مراتب العبادة الى تلك القمة التى منها يسهل عليه استشفاف نور الحق من وراء حجب الكائنات واجتلاء سرّ الابد من خلال ظلمة الغيب فذلك حيث يقول فى رباعياته (بريد بالمعدن المسترذل نفس الخمر) :

فَلْيَلُمْ من شاء أو فليعذل

انى ، من معدنى المسترذل ،

صغت مفتاحا لباب مقفل

دونه منفوس كنز طالما

رام منه النسك حصنا لا يرام

حانة ألمح فيها بارقة

من سنا الحق تجلت مشرقة

كيفما كانت : غضوبا محرقة

أو لموعا بشعاع بسما

بغيتي - لا معبد داجي الظلام

واذا لم تكن خمرة الخيام هى المادية المعصورة من الكرم ولكن الخمرة الروحية أعنى الذات الالهية — فكيف يطلب أن يغتسل بها جسمه بعد الوفاة — حيث يقول :

روّ قبل الموت من برْد الشمولِ

عودى اليابس من قبل الذبولِ

واذا ما مت فاجعلها غسُولى

وبأفياء المناقيد احتفر

لى وكفنى بأوراق الثمار

ولماذا يودّ أن تُصَبَّ الخمرة الروحية فى الاكواب المصنوعة من تراب الموتى — بيَدِ صُوفِىّ بخلفه — وذلك حيث يقول :

فانبرى كوبُ حزنٍ ولولا

جفَّ طيني من عناء وبلى

عُلّهُ الصرف العتيق السلسلا

عُلّهُ يشفي غليلي المستعرْ

ويسرّي عن فؤادي المستطار

ان ميزة الخيام على شعراء الفرس المتصوفة ظاهرة فى انه بينما ترى شخصيات أولئك الشعراء تخفى فى ثنايا قوافيهم وتضمحل وتفنى فى طيات كناياتهم وتضاعيف رموزهم ترى شخصية الخيام بكل ما يزينها ويشينها من صفات وهنات ونزعات ونزغات وميول وشهوات واضحة لنا بارزة أمامنا كما لو كنا جالسين معه على مائدة الشراب . بين الاقداح والاكواب . والعطر والملاب . والغادة الكعاب . وهو يصيح . بالنديم الصبيح .

اشرب الصهباء في ظلّ الصبا

مازها ورد بتيجان الربى

وإذا ساقى المنـايا أوجبا

شربة مضت ومرت مطعما

فأحس جلدا خمرة الموت الزؤام

٭٭٭

قف بوادى الموت وهنا نحتسى

من ينابيع حياة الأنفس

قد خبا مصباح نجم الحندس

وسرى الركب يؤم العدما

صاح شمر للنوى ذيل اعتزام

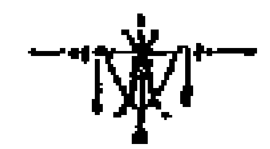
وجملة القول انه لما كان كثير من العلماء والادباء يقول بتشيع الخيام للصوفية فى رباعياته فليذهب كل امرىء مذهبه الخاص فى تأويل خمرة ذلك الشاعر وكأسه وساقيه ونحن ازاء ما يشهد به التأريخ من اشتغال الخيام بالعلوم الطبيعية و الفلسفية وتفوقه فيها على أهل زمانه تفوق منقطع القرين لا يدرك شأوه ولا يشق غباره وازاء ما تؤيده الأدلة القاطعة من انه مع ادمانه الشراب كان أشد ولوعا باللذات

العقلية . منه بالحسية . وتهافتا على منهل الوحي والالهام منه على منهل الصرف المدام . وانتجاعا لروضة الأدب . منه لروضة الطرب . وانه كان أقطف لثمار العلوم . منه لثمار الكروم

ازاء كل هذا نقول ان الخيام وان كان لم ينظم الشعر المنمق . ولم يشد بالنظم المنسق . إلا فى الخمر المادية سليلة العنقود . وخبيئة الدن والناجود . فقد كان أشد ولوعا بالمباهاة والمفاخرة بها . منه باحتسائها وشربها . يبغى بذلك مناوأة المتصوفة عشاق الخمرة الروحية . ومنابذة الباطنية طلاب النشوة الإلهية . الذين كان يراهم من أهل الرياء والمنافقة .

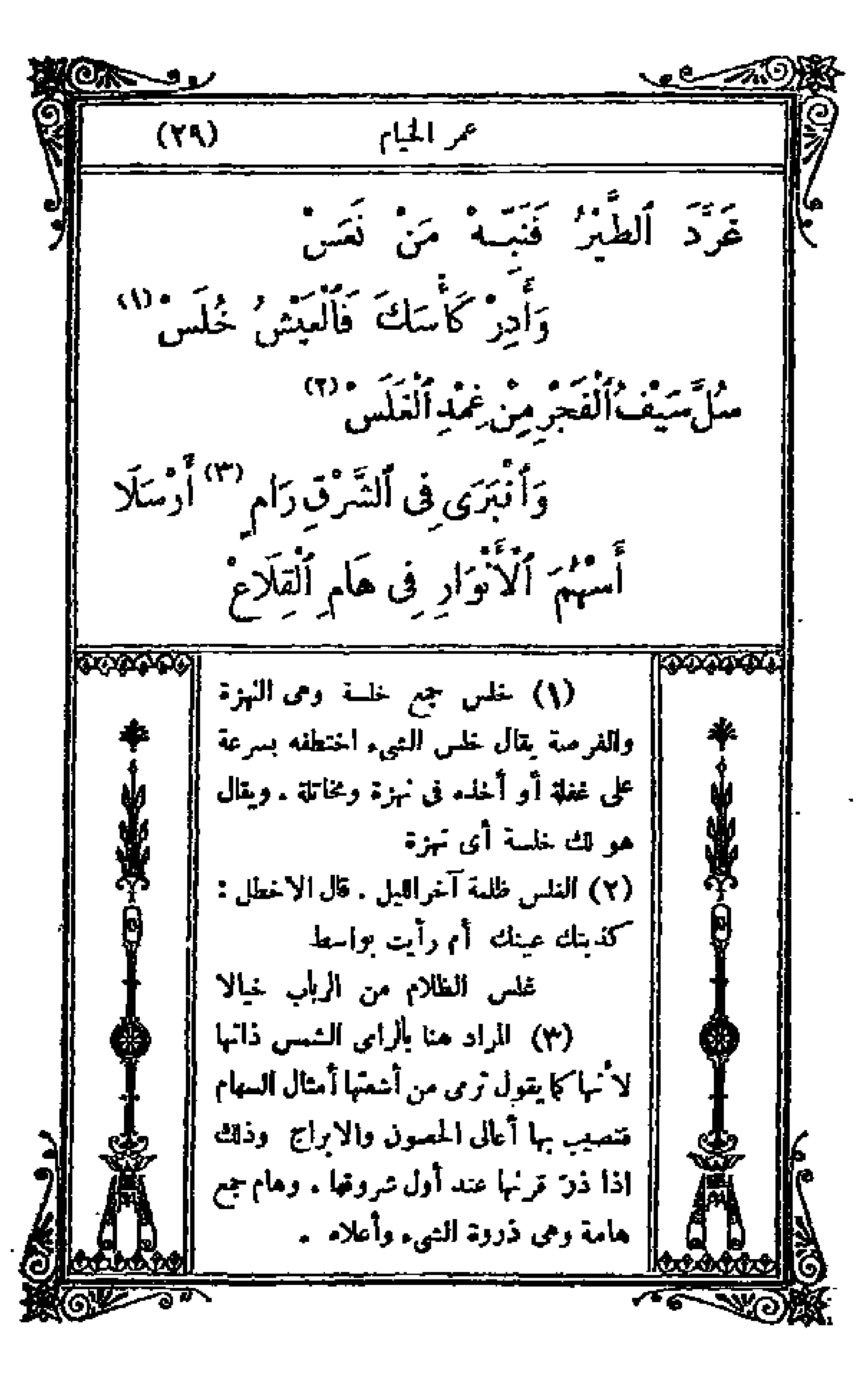
وتوفى الخيام فى سنة ٥١٧ هجرية الموافقة لسنة ١١٢٣ م وروى النظامى أحد تلاميذه هذه النبذة قال : « كنت كثير التحدث الى أستاذى عمر الخيام فى بعض البساتين فحدثنى ذات يوم قال : سيكون قبرى ان شاءت الاقدار فى حيث تنثر يد الصبا والشمال على رفاتى جنى الورد والياسمين »

ففكرت حينذاك فيما قال لاعتقادى انه لا ينطق لغوًا ولا يقول عبثًا . واتفق انى تركت نيسابور بعد ذلك ثم عدت اليها بعد مدة فما راعنى إلا قبر الخيام بجوار بستان أغنّ يانع الجنى دانى القطوف وقد مدّت أغصانه ظلالها فوق ذلك الضريح ونشرت ذوائبها تنثر عليه النور والزهر . والورق النضر . حتى أخفت آثاره وطمست معالمه .






النشيد الاول



غَرَّدَ ٱلطَّيْرُ فَنَبِّهْ مَنْ نَعَسْ
وَأَدِرْ كَأْسَكَ فَٱلْعَيْشُ خُلَسْ (١)

سُلَّ سَيْفُ ٱلْفَجْرِ مِنْ غِمْدِ ٱلْغَلَسْ (٢)
وَٱنْبَرَى فِى ٱلشَّرْقِ رَامٍ (٣) أَرْسَلَا

أَسْهُمَ ٱلْأَنْوَارِ فِى هَامِ ٱلْقِلَاعْ

(١) خلس جمع خلسة وهى النهزة والفرصة يقال خلس الشىء اختطفه بسرعة على غفلة أو أخذه فى نهزة ومخاتلة . ويقال هو لك خلسة أى نهزة

(٢) الغلس ظلمة آخر الليل . قال الاخطل :

كذبتك عينك أم رأيت بواسط
غلس الظلام من الرباب خيالا

(٣) المراد هنا بالرامى الشمس ذاتها لأنها كما يقول ترمى من أشعتها أمثال السهام فتصيب بها أعالى الحصون والابراج وذلك اذا ذرّ قرنها عند أول شروقها . وهام جمع هامة وهى ذروة الشىء وأعلاه .

صَاحَ بِي فِي ٱلنَّوْمِ طَيْفٌ «هَاتِهَا[١]

تَمْلَأ ٱلأَكْوَابَ[٢] مِنْ يَاقُوتِهَا[٣]

قَبْلَمَا تَنْضُبُ[٤] فِي كَاسَاتِهَا

خَمْــــرَةُ ٱلرُّوحِ وَتَرْتَدُّ إِلَى

مَنْبَعٍ بِٱلْغَيْبِ مَجْهُولِ ٱلْبِقَاعْ»

---

(١) الضمير فى هاتها يراد به الخمر وقد استغنى عن ذكرها تصريحاً لكفاية الضمير فى الدلالة عليها كقوله سبحانه وتعالى «كل من عليها فان» أعنى الارض وكقول النواسي . يعنى الدنيا

يودّ بجدع الانف لوأن ظهرها من الانس أعرى من سراة أديم

(٢) الكوب الكوز لا عروة له تسقى فيه الخمر : ويطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب .

(٣) الياقوت من الجواهر حجر صلب رزين صاف شفاف مختلف الألوان وأشبهه الاحمر . والياقوتة عند الصوفية هى النفس الكلية لامتزاج نورتها بظلمة التعلق بالجسم . والشاعر هنا يريد بالياقوت الخمر لحمرتها وصفائها ولا يبعد أن يكون قد أشار من طرف خفى الى الخمرة الالهية أعنى نور الحق أو الشعاع المنبعث من السرّ الخفى يعرّض فى ذلك بمذهب المتصوفة — كما يستدل بما جاء فى غير موضع من الرباعيات . (٤) تغور وتذهب

نَبَّهَ الْخَمَّارَ نَدْمَانٌ (١) مَرُوحْ

حِينَ زَفَّ الصُّبْحَ هَتَّافٌ صَدُوحْ (٢)

«إِفْتَحِ الْبَابَ وَأَسْرِعْ بِالصَّبُوحْ (٣)

ثُمَّ شَيِّعْ (٤) ظَاعِناً (٥) قَدْ عَجِلاَ

لِنَوَى (٦) لاَ يُرْتَجَى مِنْهَا ارْتِجَاعْ»

(١) المنادم أو المجالس على الشراب

(٢) الديك

(٣) ما أصبح عند القوم من الشراب . وصبحه سقاه الصبوح . واصطبح شرب الصبوح :

وهل يجوز اصطباحي من معتقة وقد أنار مشيب الرأس اصباحي

(٤) شيع فلانا تشييعاً خرج معه ليودعه

(٥) راحلاً

(٦) النوى البعد . والوجه الذي يذهب فيه وينويه المسافر (مؤنثة لاغير) والمراد بالنوى ههنا رحلة الموت المحتوم على كل حي ازماعها . يقول : ياصاحب الحان أسرع اليّ بالكاس ثم شيعني فأني مزمع رحلة الى العالم المجهول حيث لا عودة الى الحياة الدنيا ولا رجعة الى ملاذها ومناعمها .

جَدَّدَ ٱلنَّيْرُوزُ(١) أَدْرَاسَ(٢) ٱلْأَمَلْ

فَعَرُوسُ ٱلرَّوْضِ فِي أَبْهَى حُلَلْ

تَحْسَبُ ٱلنُّوَّارَ — مُزْدَانًا بِطَلّ —

كَفَّ مُوسَى(٣) فِيهِ بَيْضَاءَ بِلَا

سُوءٍ وَٱلْأَرْضُ مِعْشَابُ(٤) ٱلتِّلَاعِ(٥)

(١) النيروز أول يوم من السنة الشمسية — وعند الفرس يوم نزول الشمس أول برج الحمل — قيل قدم الى علي شيء من الحلاوى فسأل عنه، فقالوا هذا للنيروز فقال نيرزونا كل يوم — وفي المهرجان قال مهرجونا كل يوم . (٢) درس الرسم دروسا عفا ودرست الريح الرسم عفته : لازم متعد. ودرس الشيء ذهب أثره وتقادم واندرس الرسم والخبر انطمس. الدارس اسم فاعل وقد يجمع على أدراس:
ما لي وقوفك ساعة من باس   تقضى ذمام الاربع الادراس

(٣) اشارة الى ماجاء في التنزيل : واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء . والمراد ان الربيع جدد بقدومه باليات الآمال بما جلا من زينة الارض وزخرفها وما حاك لها من وشي النبات وأفواف الازاهر . فيخيل للناظر ان كل نوّارة رصعتها لآلئ الطل كف موسى برزت من كمها ناصعة بيضاء من غير سوء . والارض مع هذا معشاب التلاع (٤) اي كثيفة العشب (٥) والتلاع جمع تلعة وهي ما ارتفع من الارض وما انهبط منها . ضد . ومسيل الماء من الاسناد والنجاف والجبال حتى ينصب في الوادي .



هَلْ سَرَتْ أَنْفَاسُ عِيسَى(١) فِي الْفَلَاةْ
فَنَفَخْنَ الرُّوحَ فِي أَرْضٍ مَوَاتْ
وَنَشَرْنَ النَّبْتَ يَزْكُو مِنْ رُفَاتْ(٢)
وَبَعَثْنَ الطَّيْرَ يَشْدُو هَادِلَا
فِي أَرِيكِ(٣) الْأَيْكِ مَثْنَى وَرُبَاعْ

(١) اشارة الى ما جاء فى المنقول من أن عيسى كان فى قدرته احياء الموتى . فأنفاس عيسى كناية عن قوة التجديد والاحياء فى أرجاء الكون

(٢) رفته كسره ودقه فرفت هو . لازم متعد . ورفت الحبل انقطع . ورفته رفضه فهو مرفوت . وهى مولدة ولعلها تصحيف رفض ارفتّ ارفتاتا انكسر واندق وانقطع . الرفات الحطام أو كل ماتكسر وبلى . وفى التنزيل أاذا كنا عظاماً ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقاً جديداً .

(٣) الأريكة سرير فى حجلة أو كل ماتكأ عليه من سرير ومنصة وفراش أو سرير منجد مزين فى قبة أو بيت . الجمع أريك وأرائك

إِنْ يَكُنْ فِرْدَوْسُ شَدَّادٍ «إِرَمْ»(١)

بَادَ أَوْ إِبْرِيقُ جَمْشِيدَ(٢) انْحَطَمْ

فَجِنَانُ الْكَرْمِ تَزْهُو مِنْ أَمَمْ(٣)

يُسْبِلُ الْيَاقُوتُ فِيهَا سَلْسَلَا

كُلُّ مَعْسُولِ الْجَنَى حُلْوِ الدَّمَاعْ(٤)

---

(١) ارم ذات العماد التي ورد ذكرها في التنزيل ويزعم أن الذي بناها هو شداد بن عاد أحد ملوك العرب البائدة . وان ارم هذه قد بادت أو اختفت فلا يعرف أين ذهبت .

(٢) أحد ملوك الفرس الاقدمين كان مولعاً بالشراب .

(٣) الأمم القرب . يقال أخذت ذلك من أمم أى من قرب . قال الشاعر :

يا حبذا لمة بالجزع ثانية ووقفة ببيوت الحيّ من أمم

(٤) الدماع ما يسيل من الكرم اذا قطع في أيام الربيع والجنى كل ما يجنى أعنى الثمر وهو أيضاً الرطب والعسل والمراد به هنا العنب والمراد بلفظي « معسول الجنى » و « حلو الدماع » أى الكرم . لان جناه أى عنبه معسول ودماعه أى عصيره حلو . ويسيل يسكب يقال أسبلت السحابة مطرها والعين دمعها .

أَوْ يَكُنْ دَاوُدُ فِي الْهَلْكَى مَضَى
وَتَقَضَّى لَحْنُـــهُ وَانْقَرَضَا
قَدْ حَبَاكَ الدَّهْرُ مِنْـهُ عِوَضَا
عَاشِقَ الْوَرْدِ الرَّخِيمَ الْبُلْبُلَا
يَتَغَنَّى فَرْطَ وَجْدٍ وَالْتِيَاعِ (١)

---

(١) لاعه الحب يلوعه لوعا أمرضه وكذلك لوّعه تلويعاً . والتاع قلبه التياعا احترق من الهم أو الشوق وكانت به لوعة . اللائع اسم الفاعل . ورجل هائع لائع أى جبان جزوع . اللوعة حرقة فى القلب وألم من حب أو همّ أو مرض . وزعم الزاعمون أن البلبل يعشق الورد لأنه اذا أبصره متفتحاً ناضراً مصقول الصفحتين دامى الوجنتين انطلق بأرخم الهديل وأفتن التنغيم والترتيل وذاك دأب الطير عامة اذا أنضر الربيع البستان . ودبج السحاب مطارف الجنان . قال الشاعر :

كرمتم فجاش المفحمون بمدحكم
اذا رجزوا فيكم أثبتم فقصدوا
كما أزهرت جنات عدن وأثمرت
فأضحت وعجم الطير فيها تغرّد

أَشْعِلاَ فِي الْكَاسِ نِبْرَاسَ[1] الشَّرَابْ

وَاطْرَحَا فِي وَقْدِهِ ثَوْبَ الْمَتَابْ

إِنَّمَا اللَّذَّاتُ خُلْسٌ[2] وَانْتِهَابْ[3]

وَلَيَالِي الْعُمْرِ أَفْرَاسٌ إِلَى

غَايَةِ الْمَوْتِ حَثِيثَاتٌ سِرَاعْ

(١) هو السراج أو المصباح (٢) خلس الشيء يخلسه خلساً وخليسى سلبه وقيل اختطفه فى سرعة أو أخذه فى نهزة ومخاتلة . ويقال هو لك خلسة كما يقال نهزة . واختلس القارئ الحركة لم يبلغها ويقابله الاشباع وهو تبليغ الحركة حتى تصير بلفظ المد . ويقال الخلسة سريعة الفوت بطيئة العود والمراد بها الفرصة أى انها تفوت سريعاً ويبطئ رجوعها . وقد قيل « ان فرص الولايات . وخلس الامارات لكأضغاث الأحلام . والفيء المتفسخ بالظلام » (٣) النهب الغنيمة جمعه نهاب ونهوب . والانتهاب أن يأخذ الشيء من شاء . والانهاب اباحته لمن شاء . أنهب الرجل ماله فانتهبوه ونهبوه وناهبوه . ويقال نهب الناس فلاناً اذا تناولوه بكلامهم . نهب الكلب الانسان اذا أخذ بعرقوبه — يقال لا تدع كلبك ينهب الناس . تناهبت الارض الابل أخذت منها بقوائمها أخذاً كثيرا . فرس يناهب فرساً أى يباريه . وفرس منهب سريع ينهب الشوط والغاية .

إِنْ تَفِضْ كَأسِي بِحُلْوٍ أَوْ بِمُرْ

وَبِنِيسَابُورَ أَوْ بَلْخٍ أَقِرْ

فَحَيَاتِي خَمْرُهَا دَأْبًا تَدِرْ (١)

لِنُضُوبٍ وَيُنَضِّي (٢) نَاسِلًا (٣)

نَاضِرُ الْأَوْرَاقِ مِنْهَا فِي تِبَاعْ

(١) درّ العرق درّا ودروراً سال. وكذلك السماء بالمطر ودرّت النوق تدرّ تتابعها . ودر الفرس درياً عدا عدواً شديداً .

(٢) نضاه من ثوبه ينضوه نضواً جرّده . ونضا عنه الثوب خلعه ونزعه . ونضا الفرس الخيل نضواً ونضياً سبقها وتقدمها . ونضا السيف سله من غمده . ونضا الخضاب نصل وذهب لونه . ونضى ثوبه عنه تنضية خلعه . فيكون معنى «ينضى ناضر الاوراق» ينزع عن شجرة الحياة ناضر أوراقها وهذا كناية عن انصرام العمر وتناقصه شيئاً فشيئاً كما تتساقط أوراق الشجرة واحدة اثر واحدة حتى تفنى جميعا . فهذا الفناء التام كناية عن الموت .

(٣) نسل الصوف والريش سقط . وعلى المجاز نسل ورق الشجرة سقط عنها كما ينسل الريش عن الجناح

سِرْ بِنَا نَنْزِلْ بِذِي زَرْعٍ يَسِيرْ

بَيْنَ مَهْجُورِ الْفَيَافِي وَالْعَمِيرْ (١)

حَيْثُ لَا يُعْرَفُ عَبْدٌ أَوْ أَمِيرْ

ثَمَّ فَانْعَمْ وَارْحَمِ الصِّيدَ (٢) الْأُلَى (٣)

وَهَبُوا فِي الْعِزِّ فَيْحَاءَ (٤) الضِّيَاعْ (٥)

(١) العمير المعمور . والمراد به هنا البلاد الآهلة بالسكان يقول : سر بنا حتى ننزل بواد فيه قليل من الزرع واقع بين الريف والصحراء ليكون جامعاً ميزتيهما . يأخذ من الريف شيئاً من زرعه ومن الصحراء وحدتها وخلوها من الانس : يجد بذلك العزلة على حد قول الشاعر :

عوى الذئب فاستأنست بالذئب اذ عوى
وصوت انسان فكدت أطير

(٢) جمع أصيد وهو الملك المتكبر

(٣) الذين

(٤) مؤنث أفيح وهو الواسع الفسيح والجمع فيح

(٥) جمع ضيعة وهى العقار والارض المغلة

وَأْخلُ بِي نَحْسُو شَرَاباً عُتِقَا
ثُمَّ نَلْهُو بِنَشِيدٍ نُمِّقَا (١)
وَرَغِيفٍ تَحْتَ ظِلٍّ أَوْرَقَا
وَأْشْدُ بِالْأَلْحَانِ يَرْتَدُّ الْخَلَا
جَنَّةً رَاقَ بِهَا الْحُسْنُ وَرَاعْ (٢)

(١) نمقه حسنه وزينه

(٢) راعه الشيء أعجبه بحسنه وجماله أو بجهارة منظره أو بشجاعته . فهو رائع والجمع روّاع والمؤنث رائعة وجمعها روائع . ورائعة النهار والضحى معظمه وهو مثل فى الوضوح والشهرة . والروعة المسحة من الجمال . وراقه الشيء أعجبه . وراق الشراب صفا . وروق الشباب رونقه وريعانه . والروقة الجمال الرائق . وغلمان روقة حسان وهو جمع رائق . وغلام وجارية روقة . وجواد روقة أيضاً . والرّيق أول الشباب

وغضي من الادلال سكرى من الصبا
شفعت بالبها من شبابي بريق

ذَاكَ زَهْرُ ٱلرَّوْضِ مَا بَيْنَ نَضِيرْ

صَافَحَ ٱلصُّبْحَ بِأَنْفَاسِ ٱلْعَبِيرْ (١)

وَسَحِيقٍ خَالَطَ ٱلتُّرْبَ نَثِيرْ (٢)

وَٱلَّذِي أَنْضَرَ هٰذَا أَذْبَلَا

ذَاكَ وَٱلدَّهْرُ ٱلْتِئَامٌ وَٱنْصِدَاعْ

---

(١) العبير الزعفران أو أخلاط من الطيب تجمع بالزعفران وقال أبو عبيدة العبير عند العرب الزعفران وحده وأنشد للاعشى

وتبرد برد رداء العرو
س فى الصيف رقرقت فيه العبيرا

وفى الحديث « أتعجز احداكن أن تتخذ تومتين ثم تلطخهما بعبير أو زعفران » وهذا يدل على أن العبير غير الزعفران

(٢) السحيق المسحوق والنثير المنثور . ومعناه ما ذبل من الزهر فسقط أو ألقى على الثرى فانتثر على أديمه ثم ديس بالاقدام فانسحق .

وهذا مثل ضربه الشاعر على أن كل شيء مهما زها حيناً وراق وأعجب فلا يلبث أن يذوى ، ويضمحل ، وتغيض بهجته ، وينضب رونقه

فَامْضِ بِي وَلْنَمْتَزِلْ عَيْشَ ٱلْغُرُورْ

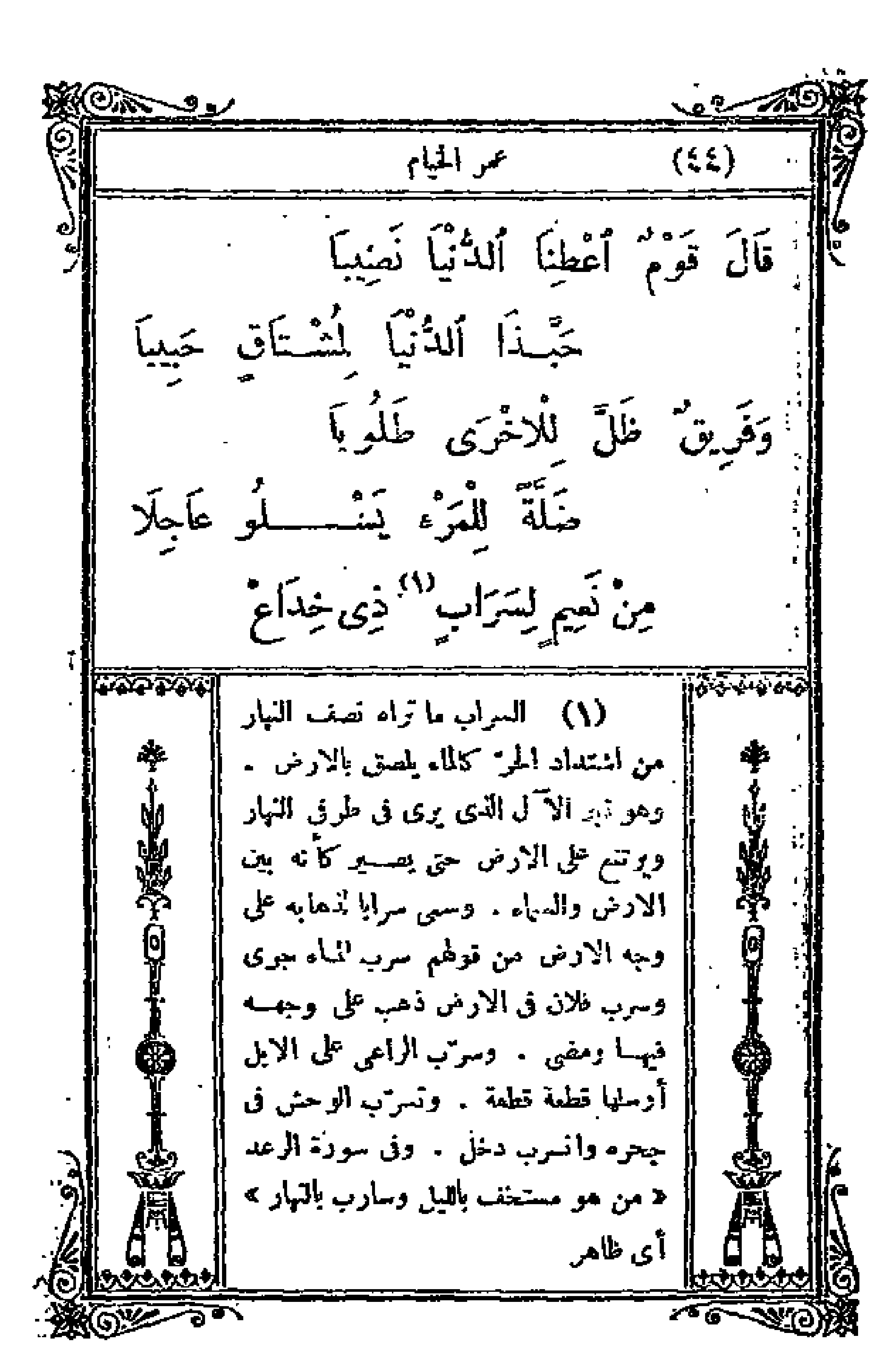
وَدَعِ ٱلدُّنْيَا بِأَهْلِيهَا تَدُورْ

وَٱلْهُ عَنْ صَاحِبِ تَاجٍ وَسَرِيرْ

لَا تُبَلْ: دَعْ رُسْتُمًا يَفْرِ ٱلطُّلَا(١)

فِي ٱلْوَغَى أَوْ حَاتِمًا يَقْرِ ٱلْجِيَاعْ

(١) فارس بطل ورد ذكره فى أساطير الفرس القديمة ــ يشبه آخيل عند اليونان وهكتور عند الطرواديين وأورلندو واماديس دى جول عند الفرنجة وعنترة عندنا . ويفرى الطلا يجز الرقاب يقال فرى الشيء يفريه فريا قطعه وشقه فاسداً كما يفرى الذابح والسبع أو صالحاً كما يفرى الخراز الاديم . وفرى الارض قطعها . وفرى القربة أو المزادة خلقها وصنعها . وهو يفرى الفرىّ أى يأتى بالعجب فى عمله . والطلا الاعناق وأصولها جمع طلية أو طلاة . والطلى الهوى . والطلى اللذة . يقال ما فيه طلى أى لذة . والطلاء الخمرة . وتطلى الرجل لزم اللهو والطرب .



قَالَ قَوْمٌ أُعْطِنَا الدُّنْيَا نَصِيبَا

حَبَّذَا الدُّنْيَا لِمُشْتَاقٍ حَبِيبَا

وَفَرِيقٌ ظَلَّ لِلأخْرَى طَلُوبَا

ضَلَّةً لِلْمَرْءِ يَسْلُو عَاجِلَا

مِنْ نَعِيمٍ لِسَرَابٍ(١) ذِي خِدَاعْ

(١) السراب ما تراه نصف النهار من اشتداد الحرّ كالماء يلصق بالارض . وهو غير الآل الذي يرى في طرفي النهار ويرتفع على الارض حتى يصير كأنه بين الارض والسماء . وسمي سرابا لذهابه على وجه الارض من قولهم سرب الماء جرى وسرب فلان في الارض ذهب على وجهه فيها ومضى . وسرّب الراعي على الابل أرسلها قطعة قطعة . وتسرّب الوحش في جحره وانسرب دخل . وفي سورة الرعد « من هو مستخف بالليل وسارب بالنهار » أي ظاهر

كَمْ تُنَاجِيكَ عَرُوسُ ٱلْجُلَنَّارْ :

« أَنَا كَنْزُ ٱلْحُسْنِ وَٱلطِّيبِ ٱلْمُثَارْ

« زُرَّ جَيْبِي فَوْقَ عِطْرٍ وَنُضَارْ

« فُضَّهُ وَٱنْثُرْ أَفَانِينَ ٱلْحُلَى

فِى ٱلرُّبَى يَحْلَى بِهَا صَدْرُ ٱلْبِقَاعْ »

(١) الجلنار زهر الرمان معرب كلنار بالفارسية ومعناه ورد الرمان . الواحدة جلنارة والمراد بعروس الجلنار الوردة من الجلنار شبهت بالعروس النضرة والجمال .

المعنى : يقول انك كلما نظرت الى الجلنارة حسبتها تضحك سروراً وتمرح حبوراً وخيل اليك كأن لسان حالها يناغيك قائلاً أنا كنز مفعم بالحسن وبالرائحة الذكية المثارة أي المنبعثة من وعائها فياحة الارج نفاحة الشذا . وان جيبي « أي كمى » قد زر « أى انطوى » على العطر وعلى النضار أى الذهب « كناية عن الهنات الصفراء التى تكون كالمادة المسحوقة فى باطن الزهرة » . فافتح أغلفتى وخذ ما تضمنته من عطر وذهب فانثره فوق الربى يكن لصدرها كأصناف الحلى وفنون الزينة . والمراد باجراء هذا الكلام على لسان الجلنارة الادلال على ان الجلنارة سخية بما لديها من

وَسَوَاءٌ مُسْرِفٌ قَدْ بَعْثَرَا

بِدَرَ(١) ٱلْمَـالِ وَكَزٌّ(٢) قَتَّرَا

سَيَحُورَانِ تُرَابًا : لَنْ تَرَى

مِنْهُمَا مَنْ يَغْتَدِي بَعْدَ ٱلْبِلَى

ذَهَبًا يُنْبَشُ حَشْرًا وَيُذَاعْ

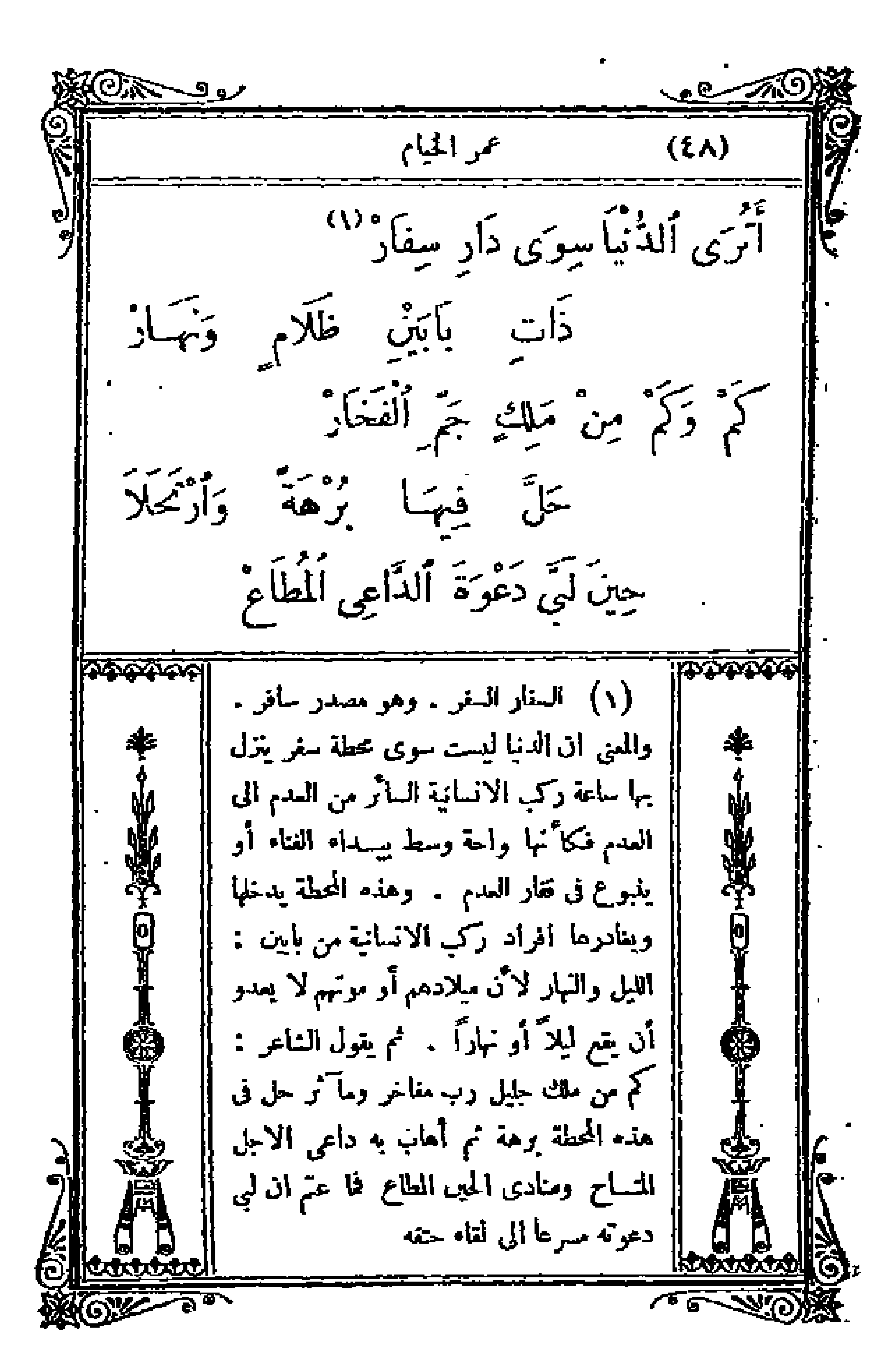
الطايب يلذ لها أن تجود على الدنيا بما تملك من جمال ومن نضرة ومن طيب رائحة . وكذلك الطبيعة عامة وكل شيء طبيعي قل أو كثر — دق أو جل — شيمته السخاء وديدنه الكرم والوفاء الا الانسان ذلك البخيل اللئيم الكز اليدين الضيق العطن لا خير فيه ولا كرم ولا مروءة فأس رذائله وأصل خبائثه البخل وعنه تتشعب كل النقائص — فالشاعر هنا يعرض ببخل الانسان من طريق الاشارة الى سخاء الطبيعة كما يظهر في الجلنارة . فكأنه يضرب للانسان البخيل مثلا من الجلنارة السخية حثاً له على الكرم والسخاء وحضاً له على البر والوفاء (١) جمع بدرة وهى الكيس فيه سبعة آلاف دينار (٢) كز الشيء يبس وانقبض فهو كز ورجل كز اليدين أى ذو كزز أى بخل . المعنى : يحث على انفاق الاموال في سبيل اللذة ووجوه التنعيم والترف . يقول : لن ينفع

إِنَّمَا ٱلْآمَالُ فِي ٱلدُّنْيَا خَيَالْ
فَإِذَا أَفْضَتْ إِلَى حُسْنٍ مَآلْ
لَمْ تَكُنْ إِلَّا كَمَا يَلْمَعُ آلْ (١)
أَوْ كَثَلْجٍ فِي فَلَاةٍ نَزَلَا
سَاعَةً يَبْهَى سَنَاهُ (٢) ثُمَّ ضَاعْ .

بخيلا بخله كما لن يضير مسرفا اسرافه فكلاهما الى الفناء الدائم والعدم الابدى . ومهما اختلفنا فى الحياة مذهبا ومشربا فسيستويان فى الممات ويؤولان فى القبر الى نهاية واحدة — هى العدم . فلن ترى أحدهما يؤول فى قبره (ساعة مايسمونه الحشر) ذهبا ينبش من الجدث وينشر . هذا الشعر شبيه جداً بالأبيات الآتية لطرفة ابن العبد . وعندى ان الخيام كان ينظر من طرف خفى الى أبيات طرفة عند نظمه هذه الرباعية . قال طرفة فى معلقته المشهورة

ألا أيهذا الزاجرى احضر الوغى وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدى
فان كنت لا تسطيع دفع منيتى فدعنى أبادرها بما ملكت يدى
أرى قبر نحام بخيل بماله كقبر غوى فى البطالة مفسد

(١) الآل ما تراه فى أول النهار وآخره يتلألأ فى الصحراء ويرفع الأشخاص (٢) السنا الضياء . والمعنى ان الآمال أباطيل وأضاليل وأحلام نيام فان صحت مرة لم تكن الا كالبرق الخلب او الآل اللامع أو السراب لا يلبث أن يزول بلا جدوى ولا فائدة أو كالثلج يسقط على ظهر الفلاة فاذا هو قد ذاب فاضمحل .



أَرَى الدُّنْيَا سِوَى دَارِ سِفَارْ(١)

ذَاتِ بَابَيْنِ ظَلَامٍ وَنَهَارْ

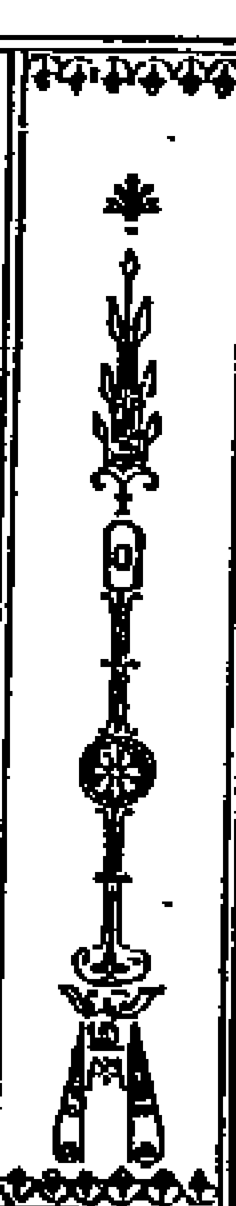
كَمْ وَكَمْ مِنْ مَلِكٍ جَمِّ الْفَخَارْ

حَلَّ فِيهَا بُرْهَةً وَارْتَحَلَا

حِينَ لَبَّى دَعْوَةَ الدَّاعِي الْمُطَاعْ

(١) السفار السفر . وهو مصدر سافر . والمعنى ان الدنيا ليست سوى محطة سفر ينزل بها ساعة ركب الانسانية السائر من العدم الى العدم فكأنها واحة وسط بيداء الفناء أو ينبوع فى قفار العدم . وهذه المحطة يدخلها ويغادرها افراد ركب الانسانية من بابين : الليل والنهار لأن ميلادهم أو موتهم لا يعدو أن يقع ليلاً أو نهاراً . ثم يقول الشاعر : كم من ملك جليل رب مفاخر ومآثر حل فى هذه المحطة برهة ثم أهاب به داعى الاجل المتاح ومنادى الحين المطاع فما عتم ان لبى دعوته مسرعا الى لقاء حتفه

قَبْرُ بَهْرَامَ ٱلَّذِي صَادَ ٱلْأُسُودْ
فَوْقَهُ ٱلذُّؤْبَانُ تَعْدُو وَٱلْفُهُودْ
أَتُرَاهَا أَيْقَظَتْهُ مِنْ رُقُودْ
وَبِمَلْهَى ٱلْعَزْفِ قِدْماً وَٱلطِّلَا
مِنْ حِمَى (١) جَمْشِيدَ تَهْتَاجُ ٱلسِّبَاعْ



(١) الحمى الحريم أو كل ما يحمى من مكان أو غيره والمراد به هنا قصر جمشيد الذى كان محجباً بإحراس وخدام وسدنة وحجاب وسجوف وأستار .

والمعنى : ان الذئاب والفهود قد اتخذت مجال عدوها وركضها فوق مدفن الملك العظيم بهرام الذى كان يصيد الاسود . وهى مهما ركضت فوق قبره لن تستطيع ايقاظه من رقدة الموت التى لا مهب منها أبداً . كما أن السباع قد أصبحت تعيث وتهيج فى حيث كان الملك جمشيد يلهو مع ندمائه بالعزف والشراب بأطيب أمكنة قصره المحجب وأجل غرفه وحجراته .

وَقُصُورٍ زَاهِرَاتٍ زَاهِيَهْ

عَفَّرَ الصِّيدُ الْجِبَاهَ الْحَالِيَهْ(١)

فِي ثَرَاهَا لِمَلِيكٍ طَاغِيَهْ

أَصْبَحَتْ مَأْوَى حَمَامٍ رَتَّلَا

«سَاقَ حُرٍّ»(٢) فِي مُحِيلٍ(٣) مُتَدَاعٍ(٤)

(١) الجباه الحالية بالتيجان والاكاليل لانهم صيد أي ملوك .
وعفره وعفّره في التراب عفراً وتعفيراً مرغه ودلكه أو دسه فيه
ويقال لمن أذل قد عفر وأرغم .

(٢) ساق حر — حكاية صوت الحمام قال الشاعر :
وما هاج هذا الشوق الا حمامة دعت « ساق حر » ترحة وترنما
وقد سمي الحمام « ساقا » وسمي فرخه « حرا » فيكون «ساق حر»
هو فرخ الحمام أعني انه سمي بصوته كما سميت القطا بصوت هتافها وهو
« قطا قطا » قال الشاعر :
تغريد ساق على ساق يجاوبها من الهواتف ذات الطوق والعطل
الساق الاول القمري والثاني ساق الشجرة

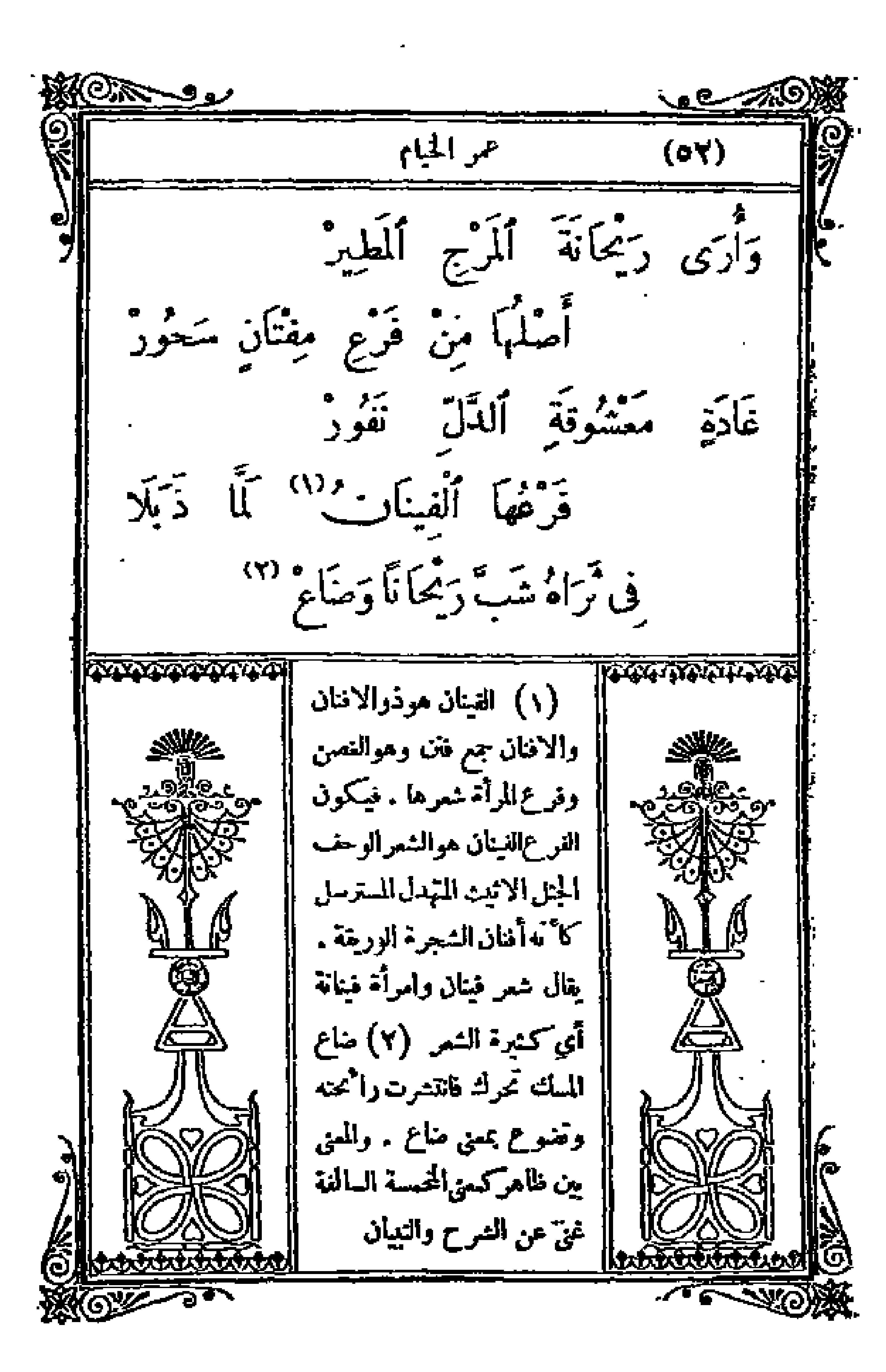
(٣) المحيل هو الدارس المندثر من الاطلال والرسوم

(٤) المتداعي المتهدم المنهار .

أَنْضَرُ ٱلْوَرْدِ وَأَبْهَاهُ نَمَا
حَيْثُ رَوَّى ٱلْأَرْضَ مَدْفُونٌ دَمَا
فَهُنَاكَ ٱلزَّهْرُ يُطْلَى عَنْدَمَا(١)
وَخُدُودُ ٱلْوَرْدِ تَدْمَى خَجَلَا
وَعَرُوسُ ٱلرَّوْضِ حَمْرَاءُ ٱلْقِنَاعِ(٢)

(١) العندم هو البقم وهو صبغ أحمر يتخذ من ساق شجر البقم
(٢) القناع ثوب تقنع به المرأة رأسها وترسله على وجهها . وكشف القناع عن الامر كناية عن التصريح به والمجاهرة .

المعنى : ان الناس انما يخلقون ويصورون من تراب من مات من أسلافهم وكذلك الشجر والنبات والزهر ينمو ويتكون من تراب الموتى ولذلك يقول الشاعر : ان أنضر الورد وأشده احمراراً هو ذاك الذي ينبت من عظام قتيل قد أشبع الارض من دمه المهراق . فمثل هذا الورد النامي من مثل هذا الدم يلوح للناظر كما لو كان قد طلي بالعندم وتضرج خدوده حمرة كما لو كانت تدمى من الخجل كما تدمى وجنات الخفرات الخجلات من الغواني . فاذا امتلأ روض من أمثال هذه الورود المتناهية حمرة التي كأنها شعل تتوهج وتتأجج حسبت الروض عروساً قد اختمرت بخمار أحمر .



وَأَرَى رَيْحَانَةَ ٱلْمَرْجِ ٱلْمَطِيرْ

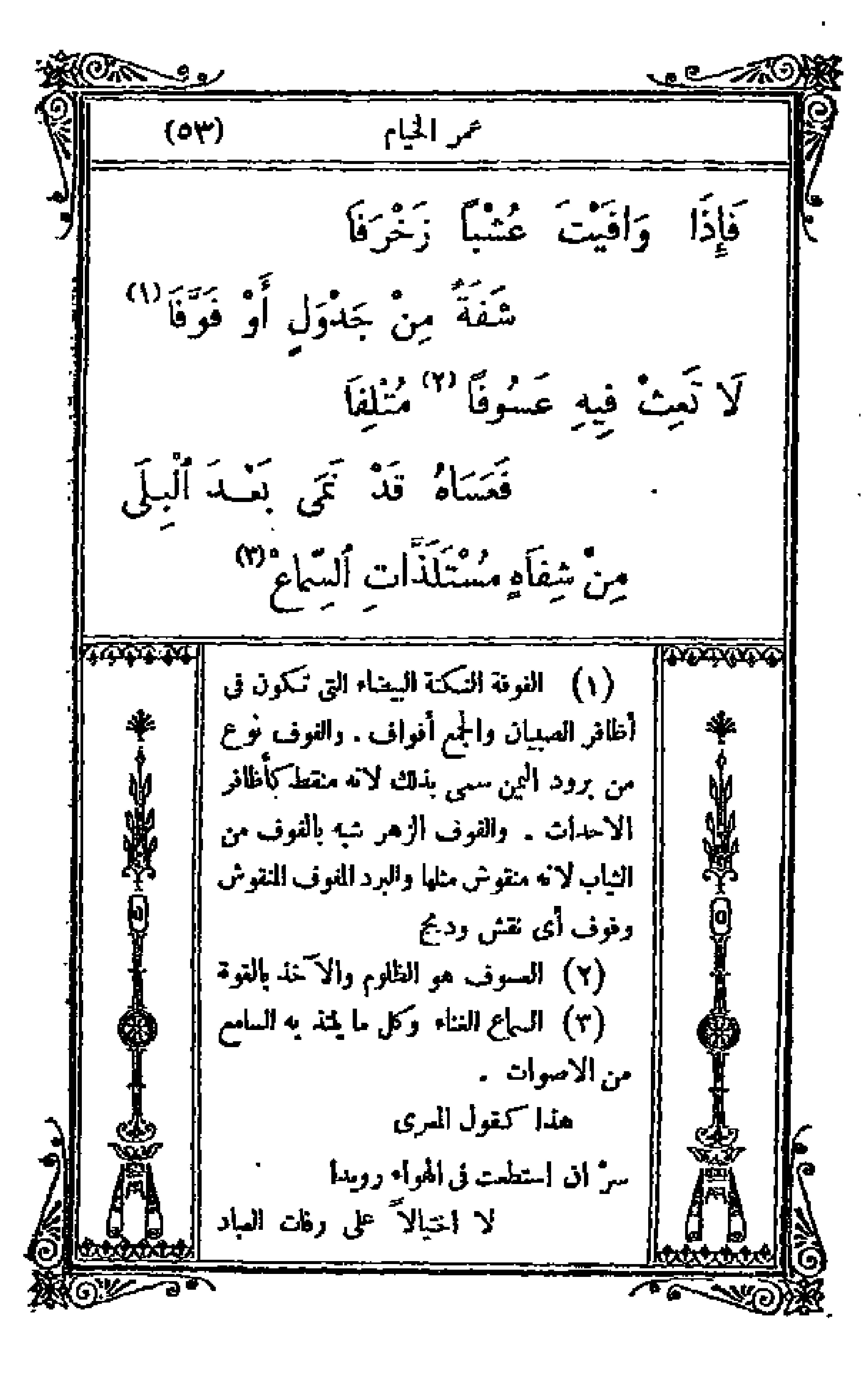
أَصْلُهَا مِنْ فَرْعِ مِفْتَانٍ سَحُورْ

غَادَةٍ مَعْشُوقَةِ ٱلدَّلِّ نَفُورْ

فَرْعُهَا ٱلْفِينَانُ (١) لَمَّا ذَبَلَا

فِي ثَرَاهُ شَبَّ رَيْحَانًا وَصَاعْ (٢)

(١) الفينان هو ذو الافنان والافنان جمع فنن وهو الغصن وفرع المرأة شعرها . فيكون الفرع الفينان هو الشعر الوحف الجثل الاثيث المتهدل المسترسل كأنه أفنان الشجرة الورقة . يقال شعر فينان وامرأة فينانة أي كثيرة الشعر (٢) صاع المسك تحرك فانتشرت رائحته وتضوع بمعنى صاع . والمعنى بين ظاهر كمعنى الخمسة السالفة غني عن الشرح والتبيان



فَإِذَا وَافَيْتَ عُشْباً زَخْرَفَا

شَفَةٌ مِنْ جَدْوَلٍ أَوْ فَوَفَا (١)

لَا تَعِثْ فِيهِ عَسُوفاً (٢) مُتْلِفَا

فَعَسَاهُ قَدْ نَمَى بَعْدَ ٱلْبِلَى

مِنْ شِفَاهٍ مُسْتَلَذَّاتِ ٱلسَّمَاعْ (٣)

(١) الفوفة النكتة البيضاء التى تكون فى أظافر الصبيان والجمع أفواف . والفوف نوع من برود اليمن سمى بذلك لانه منقط كأظافر الاحداث . والفوف الزهر شبه بالفوف من الثياب لانه منقوش مثلها والبرد الفوف المنقوش وفوف أى نقش ودبج

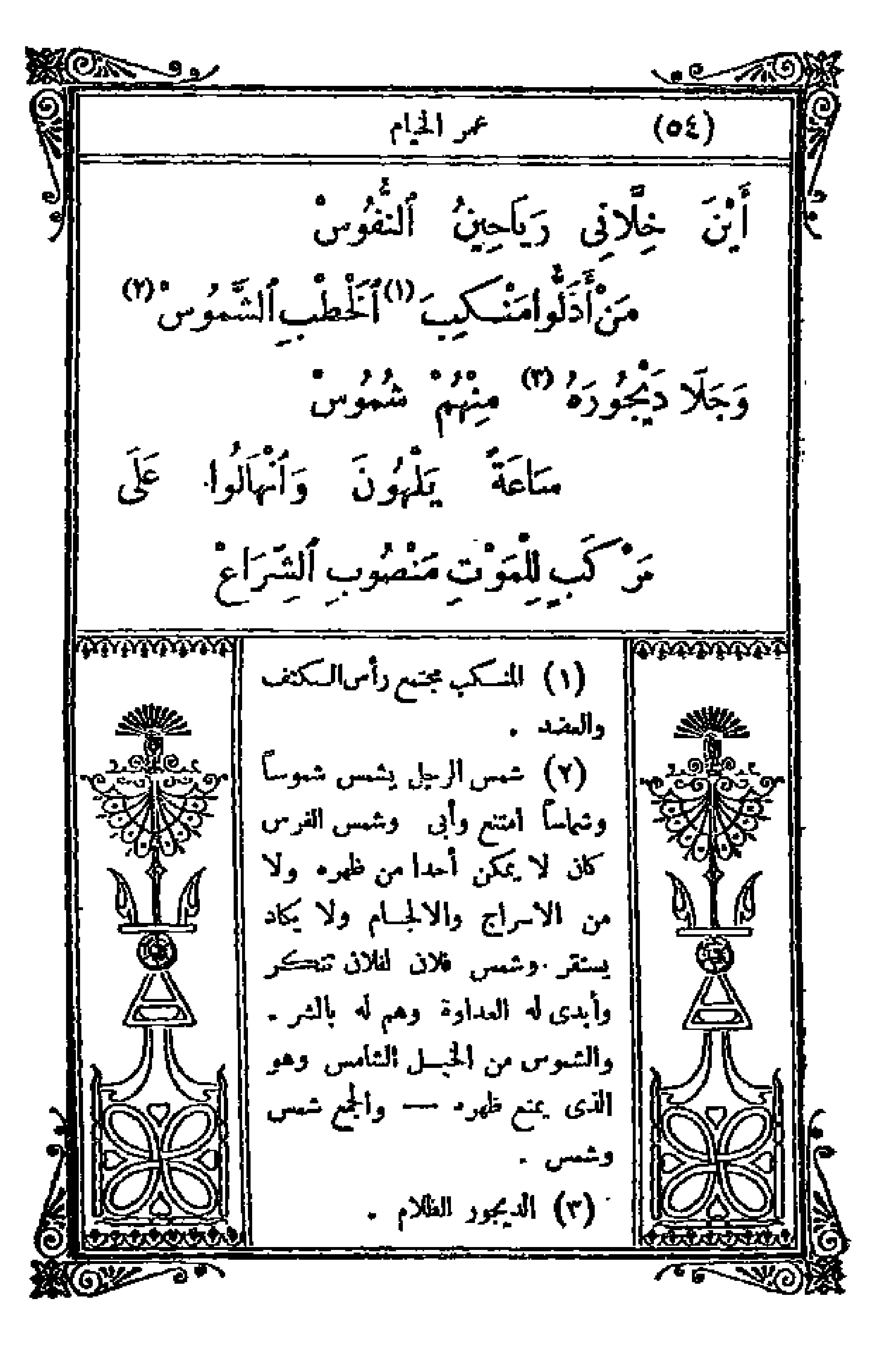
(٢) العسوف هو الظلوم والآخذ بالقوة

(٣) السماع الغناء وكل ما يلتذ به السامع من الاصوات .

هذا كقول المعرى

سرْ ان استطعت فى الهواء رويدا

لا اختيالاً على رفات العباد



أَيْنَ خِلَّانِي رَيَاحِينُ ٱلنُّفُوسْ

مَنْ أَدَلُّوا مَنْكِبَ[1] ٱلْخَطْبِ ٱلشَّمُوسْ[2]

وَجَلَا دَيْجُورَهُ[3] مِنْهُمْ شُمُوسْ

سَاعَةً يَلْهُونَ وَٱنْهَالُوا عَلَى

مَرْكَبٍ لِلْمَوْتِ مَنْصُوبِ ٱلشِّرَاعْ

(١) المنكب مجمع رأس الكتف والعضد .

(٢) شمس الرجل يشمس شموساً وشماساً امتنع وأبى وشمس الفرس كان لا يمكن أحداً من ظهره ولا من الاسراج والالجام ولا يكاد يستقر . وشمس فلان لفلان تنكر وأبدى له العداوة وهم له بالشر . والشموس من الخيل الشامس وهو الذى يمنع ظهره — والجمع شمس وشمس .

(٣) الديجور الظلام .

وَلَبِسْنَا ظِلَّ عَيْشٍ خَلَعُوا

جُدِّدَتْ لِلْأُنْسِ فِيهِ خِلَعُ

فَلَهَوْنَا بَعْدَهُمْ نَسْتَمْتِعُ

إِنَّ حَتْمًا مُبْرَمًا أَنْ نَرْحَلَا

وَنُخَلِّيهَا لِقَوْمٍ بَعْدَ سَاعْ (١)

(١) ساع جمع ساعة . يقول كم احباء لنا نعموا بالعيش زمانا ولبسوا ظله الظليل أوانا ثم ما لبثوا أن خلعوا مطارف هذا الظل الزائل فخلفنا محلهم وشغلنا مكانهم ولبسنا من ظل العيش مانضوا ونزعوا . ثم تجددت لنا فى ظلال هذا العيش خلع قشيبة للانس والصفاء بعد التى أخلقها من سلفنا من أولئك الاحباب ولبثنا على هذه الحال نستمتع بمناعم الحياة حينا ولكنه من المحتوم المجزم ان نخلع نحن أيضاً ابراد هذا الظل وخلع هذا الانس لارتداء الاكفان ثم نخلى ملعب الحياة ومقصفها لمن يخلفنا من الناس .

فَارْتَشِفْ رِيقَ ٱلْعَنَاقِيدِ يَبِدْ (١)

مَا تُقَاسِي مِنْ تَبَارِيحِ ٱلْكَمَدْ

لَا تُؤَجِّلْ فُرْصَةَ ٱلْيَوْمِ لِغَدْ

وَا مُصَابِي مِنْ غَدٍ إِنْ أَقْبَلَا

وَرُفَاتِي هَامَةٌ تَهْوِي بِقَاعٍ (٢)

---

(١) يفنى — (٢) المنخفض المطمئن من الارض

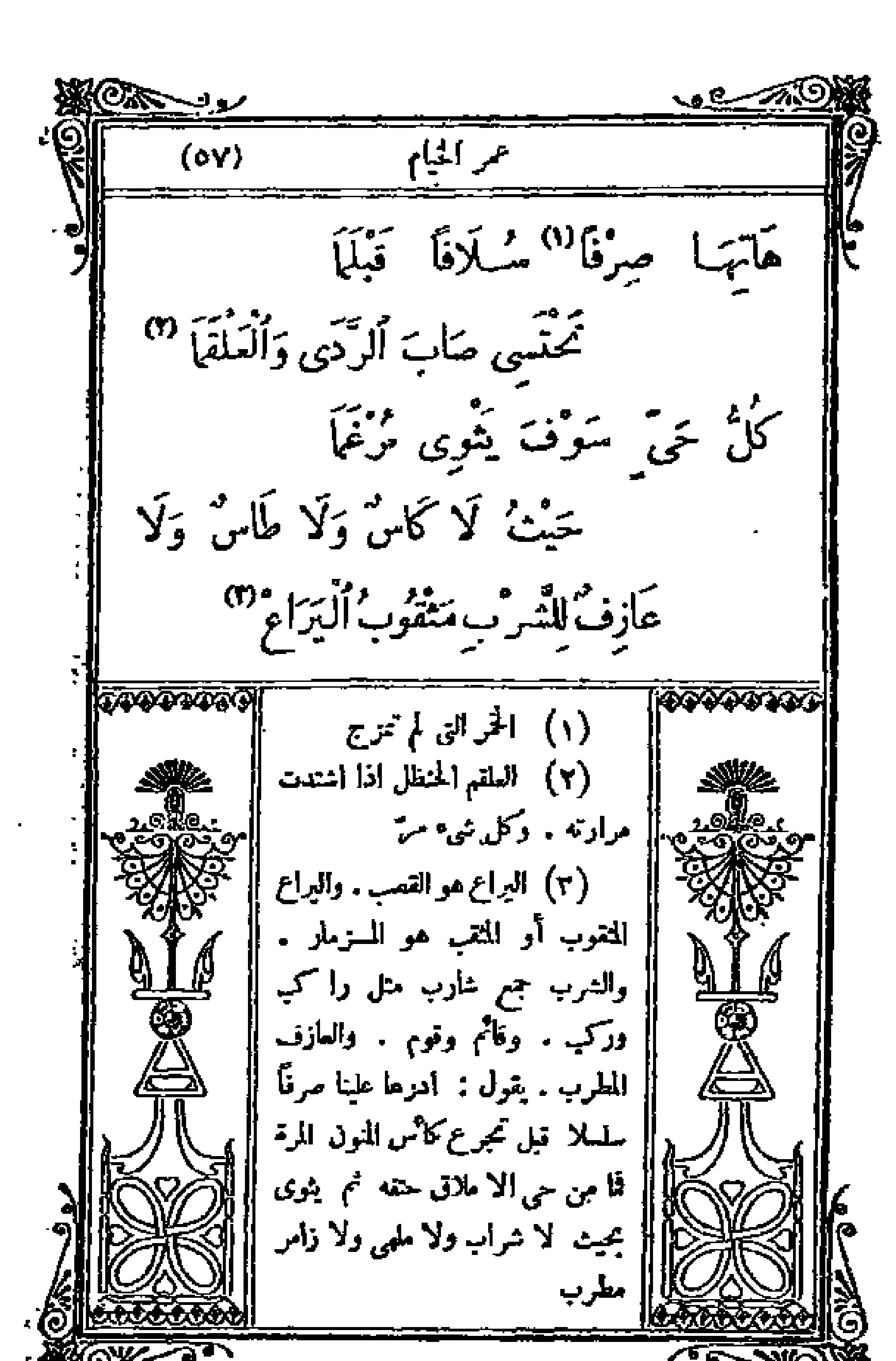
(٢) الهامة وتسمى أيضاً الصدى هي ما يبقى من الميت في قبره وهي حشوة الرأس وتأويل ذلك عند العرب ان الرجل كان اذا قتل فلم يدرك بثاره يخرج من رأسه طائر كالبومة وهي الهامة والذكر الصدى فيهوى على قبره اسقوني اسقوني فان قتل القاتل كف ذلك الطائر — قال الشاعر :

يا عمرو الا تدع شتمي ومنقصتي
أضربك حيث تقول الهامة اسقوني

وقال الآخر :

وشربت بردا ليتني | من بعد برد كنت هامة
هتافة تدعو صدى | بين المشقر واليمامة

ويقال فلان هامة اليوم أو غده أي يموت في يومه أو غده .



هَاتِهَا صِرْفاً(١) سُلَافاً قَبْلَمَا

نَحْتَسِي صَابَ الرَّدَى وَالْعَلْقَمَا(٢)

كُلُّ حَيٍّ سَوْفَ يَثْوِي مُرْغَمَا

حَيْثُ لَا كَاسٌ وَلَا طَاسٌ وَلَا

عَازِفٌ لِلشَّرْبِ مَثْقُوبُ الْيَرَاعِ(٣)

(١) الخمر التي لم تمزج

(٢) العلقم الحنظل اذا اشتدت مرارته . وكل شيء مر

(٣) اليراع هو القصب . واليراع المثقوب أو المثقب هو المزمار . والشرب جمع شارب مثل راكب وركب . وقائم وقوم . والعازف المطرب . يقول : أدرها علينا صرفاً سلسلا قبل تجرع كأس المنون المرة فما من حي الا ملاق حتفه ثم يثوى بحيث لا شراب ولا ملهى ولا زامر مطرب

قُلْ لِمَنْ يَسْعَى وَرَاءَ ٱلْعَاجِلَهْ (١)
وَلِمَنْ يَرْجُو نَوَالَ ٱلْآجِلَهْ (٢)
هِمَّتُمَا بِٱلتُّرَّهَاتِ (٣) ٱلْبَاطِلَهْ
لَيْسَ فِى ٱلْمَعْدُومِ مَأْمُولٌ وَلَا
كَائِنٌ دَانِى ٱلْأَذَى فِيهِ ٱنْتِفَاعْ

(١) العاجلة الدنيا .

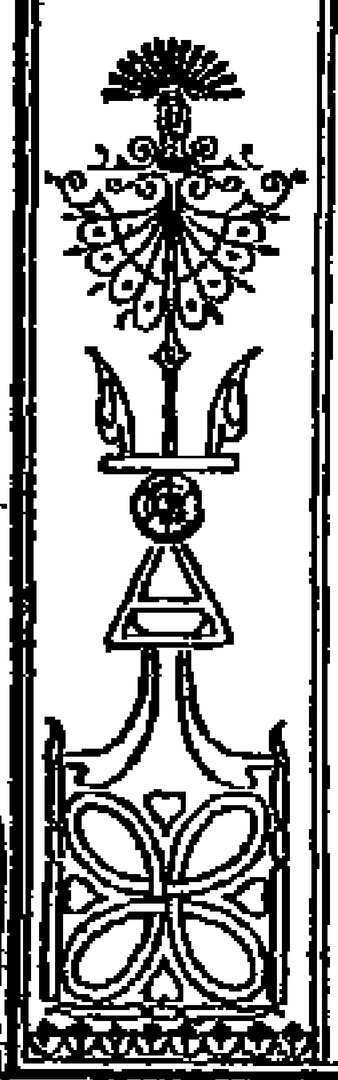
(٢) الآجلة الآخرة .

(٣) الترهات الاضاليل والاباطيل . وهى فى الاصل القفار ثم استعيرت للاباطيل والاقاويل الخالية من الطائل ككلام المجانين . يقال الترهات البسابس . وربما جاء مضافاً يقال أخذ فى ترهات البسابس المفرد ترهة وتجمع أيضاً على تراره وتراريه قال الشاعر :

ردوا بنى الاعرج ابلى من كثب
قبل التراريه وبعد المطلب

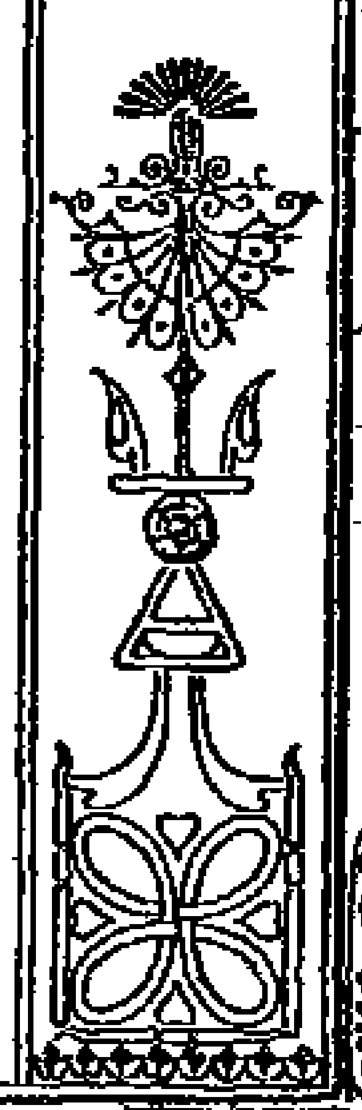
والمعنى : أولى لطالب الدنيا ولطالب الآخرة أن يقصرا جميعاً — كل عن مطلبه فليس فى هذا ولا فى ذاك ثمرة ولا طائل فالآخرة معدومة وليس فى المعدوم خير يرجى . والدنيا دانية الاذى وليس فيها هذا شأنه ثمرة ولا منفعة .

كَمْ شُيُوخٍ وَقُسُوسٍ أَكْثَرُوا
فِى ٱنْتِقَادِ ٱلْكَوْنِ حَتَّى ثَرْثَرُوا
بَالَغُوا فِى ٱلْحَدْسِ حَتَّى هَذَرُوا (١)
ثُمَّ سَلَّ ٱلْمَوْتُ مِنْهُم مِقْوَلًا (٢)
وَغَدَتْ أَقْوَالُهُمْ سَقْطَ مَتَاعْ



(١) هذر الرجل فى منطقه هذرا وتهذارا هذى اى غلط وتكلم بما لا ينبغى . وهذر هذرا أكثر فى الخطأ والباطل . والهذر سقط الكلام الذى لا يعبأ به .

(٢) المقول اللسان . يقول : كل أقوال الفلاسفة وأصحاب المذاهب هراء ولغو وهذيان لانها قائمة على الرجم والحدس والتخمين . فهم يقضون أعمارهم اعتسافا فى غياهب الشك ومضال الترجيم ثم لا يلبث الموت ان يستل ألسنتهم ويحثو أفواههم بتراب القبر وتذرى أقوالهم ادراج الرياح





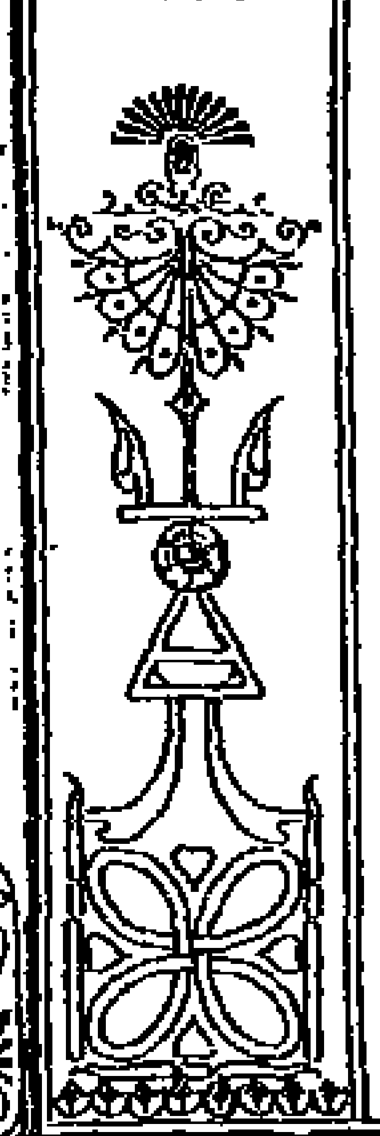
دَعْ رِجَالَ ٱلْعِلْمِ فِى شَغْبِ[1] ٱلْجِدَالْ

يُنْفِقُونَ ٱلدَّهْرَ فِى قِيلٍ وَقَالْ

كُلُّ شَىْءٍ فِى ٱلْوَرَى إِفْكٌ مُحَالْ[2]

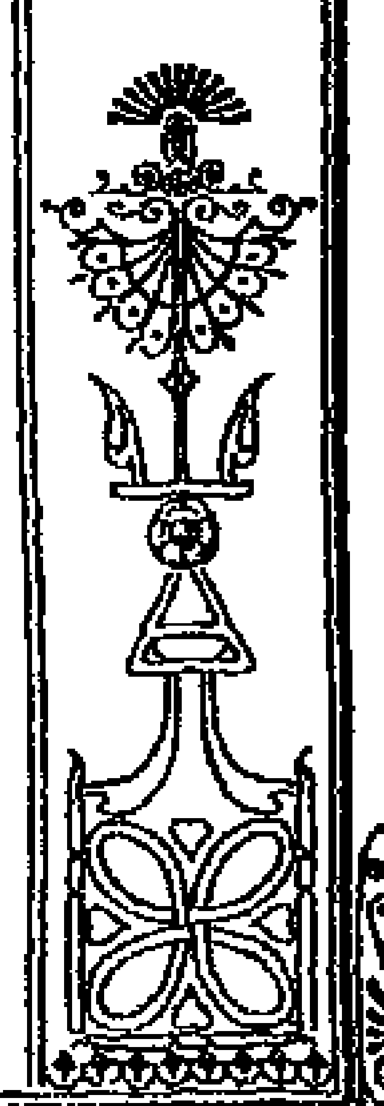
غَيْرَ مَوْتٍ بَاتَ يَطْوِى أَمَلَا

لَيْسَ يَذْكُو بَعْدَ مَا يَخْبُو شُعَاعْ



(١) الشغب تهيج الشر يريد بذلك ما يثور فى مجالس الجدل من زوابع الخلاف وعواصف الخصام .

(٢) المحال ما أحيل عن جهة الصواب الى غيره وما اقتضى الفساد من كل وجه . ومن الكلام ما عدل من وجهه ثم استعمل فى كل باطل غير ممكن . يقول كل شىء فى الدنيا باطل الا الموت فانه الحقيقة الفردة فاذا اطفأ الموت سراج الروح لم يعد لاشتعال واضاءة بعد ذلك قط . مثله فى ذلك كالشعاع الذى اذا خبا لم يتقد ثانية



طَالَمَا خُضْنَا غِمَارَ ٱلْفَلْسَفَهْ
وَسَمِعْنَا مِنْ صَوَابٍ وَسَفَهْ
وَخَبَطْنَا فِي مَضَلٍّ مَعْسَفَهْ (١)
ثُمَّ صِرْنَا حَيْثُ كُنَّا أَوَّلَا
لَمْ نَسِرْ نَحْوَ ٱلْهُدَى قِيدَ ذِرَاعْ

(١) المضل اسم مكان من ضل وهو القفر الذى يضل سالكه والمعسفة المجهلة من الارض يعتسفها السالك أى يخبط فيها على غير هدى . يقول : طالما خاض البشر غمرات بحار الفلسفة ولججها العماق وطالما سمعنا من المتفلسفين سفها تارة وصوابا أخرى . وطالما اعتسفنا مجاهل الكلام واتياهه وألغازه — وبعد كل ذلك لم نجد أنفسنا الا حيث كنا بادئ بدء أى أنا رجعنا من حيث ابتدأنا وخرجنا من الباب الذى ولجناه أولا . وفى كل ذلك لم نتقدم خطوة واحدة نحو الحقيقة .



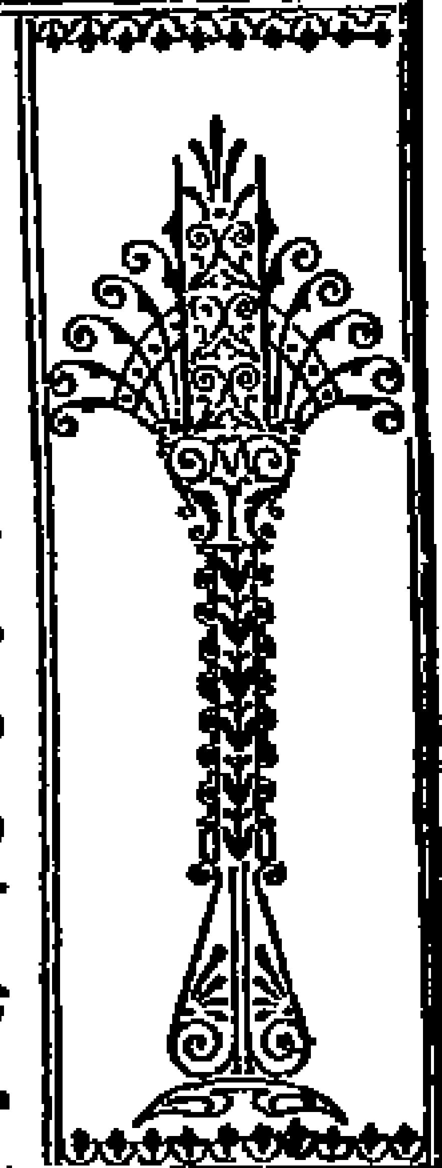
كَمْ بَذَرْنَا حِكْمَةَ الْفِكْرِ الْبَصِيرْ

وَسَقَيْنَاهَا حَيَا (١) الْعَقْلِ الْغَزِيرْ

مَا جَنَيْنَا غَيْرَ بُهْتَانٍ وَزُورْ

مَا عَلِمْنَا غَيْرَ أَنَّا فِي الْمَلَا

شُعَلُ الْبَرْقِ خَبَتْ بَعْدَ الْتِمَاعْ



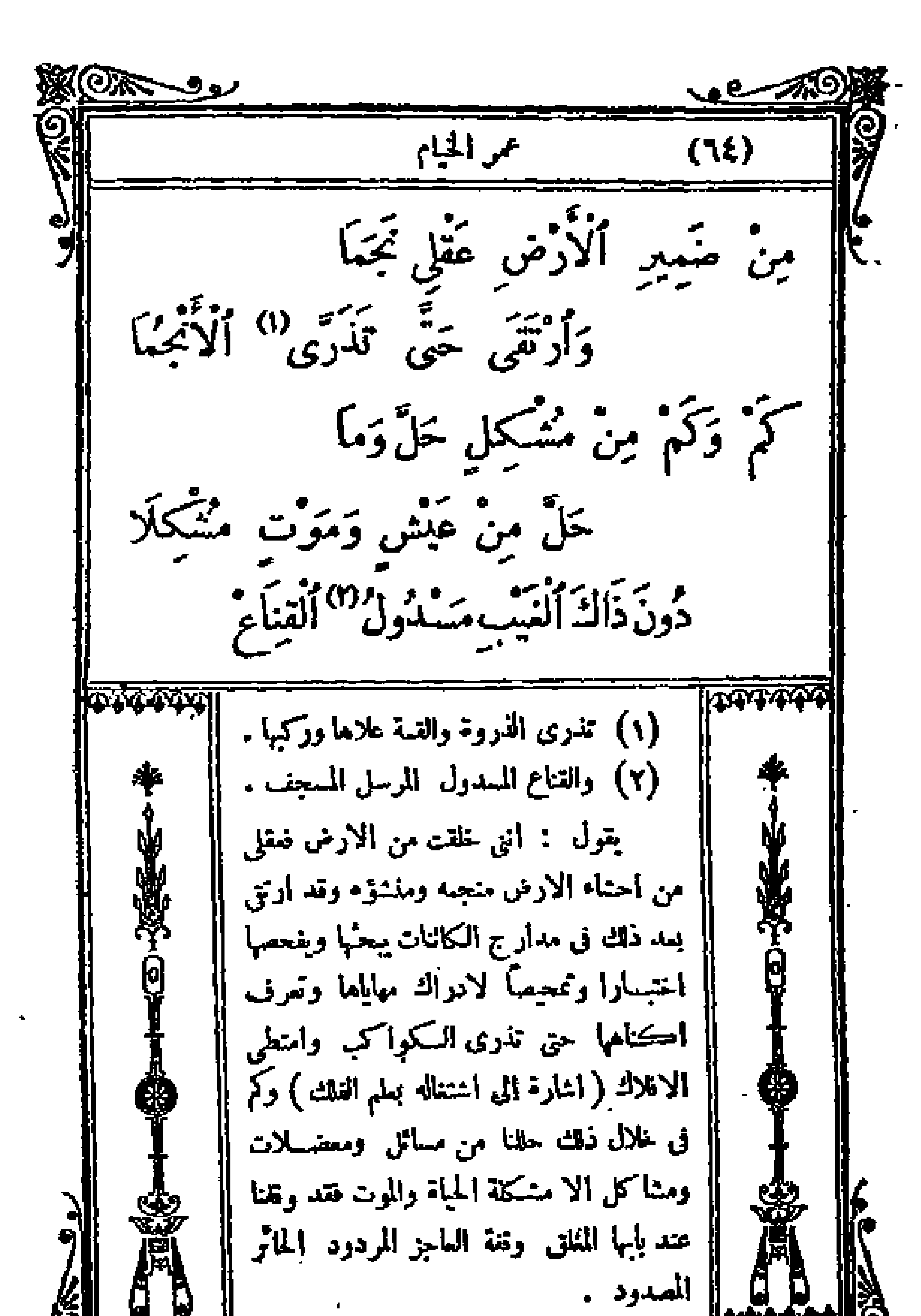
(١) الحيا المطر والغزير الكثير المتدارك . يقول : كم بذرنا بنات أفكارنا وثمرات قرائحنا وروينا ذلك الغرس بمادة العقول والاذهان فماذا جنينا بعد هذا ؟ لم نجن سوى الاكاذيب والاباطيل ولم نعلم أكثر من هذه الحقيقة وهى انا فى هذه الدنيا لا نعدو كوننا كبارقات الخلب لا تكاد تبدو حتى تخفى — تلوح لحظة ملتمعة ثم تخبو .

خَبِّرُوا أَنَّى وَإِيَّانَ وَلِمْ
جِئْتُ هٰذَا ٱلْكَوْنَ كَٱلْمَاءِ سَجَمْ (١)
ثُمَّ أَرْتَدُّ كَأَنْفَاسِ ٱلنَّسَمْ (٢)
شَطَطٌ مِنْ عَابِثٍ قَدْ هَزَلَا
دَاوِهِ بِٱلْقَصْفِ (٣) جُهْدَ ٱلْمُسْتَطَاعْ

(١) سجم الماء والدمع سجوماً وسجاماً سال فهو ساجم وسجمت العين والسحابة الماء تسجمه سجوماً وسجاناً اسالته . والسجم الماء والدمع . وعين سجوم أى تسيل بالدمع .

(٢) نسمت الريح تحركت وهبت والنسم ههنا جمع النسمة وهى نفس الروح والانسان .

(٣) قصف الرجل قصوفاً أقام فى أكل وشرب ولهو . وتقصف على الطعام لها ولعب . والقصف اللهو . يقول : أيها الناس خبرونى من أين والى أين ولماذا جئت هذا العالم وظهرت فيه ثم لا ألبث أن أغادره وأرحل عنه — مشبهاً فى ورودى عليه الماء المنسجم وفى انطلاق عنه انفاس النسيم . ما أحب القضاء اذ يفعل بى هذا الا جائراً فى حكمه هزلا أو دعابة ولعل اللهو واللعب هو أفضل علاج لمداراة هذا الاذى الواقع من القضاء .



مِنْ ضَمِيرِ ٱلْأَرْضِ عَقْلِي نَجَمَا
وَٱرْتَقَى حَتَّى تَذَرَّى(١) ٱلْأَنْجُمَا

كَمْ وَكَمْ مِنْ مُشْكِلٍ حَلَّ وَمَا
حَلَّ مِنْ عَيْشٍ وَمَوْتٍ مُشْكِلَا

دُونَ ذَاكَ ٱلْغَيْبِ مَسْدُولُ(٢) ٱلْقِنَاعْ

(١) تذرى الذروة والقمة علاها وركبها .
(٢) والقناع المسدول المرسل المسجف .

يقول : انى خلقت من الارض فعقلى من احشاء الارض منجمه ومنشؤه وقد ارتقى بعد ذلك فى مدارج الكائنات بحثا وفحصا اختبارا وتمحيصاً لادراك مهاياها وتعرف اكناهها حتى تذرى الكواكب وامتطى الافلاك (اشارة الى اشتغاله بعلم الفلك) وكم فى خلال ذلك حللنا من مسائل ومعضلات ومشاكل الا مشكلة الحياة والموت فقد وقفنا عند بابها المغلق وقفة العاجز المردود الحائر المصدود .

ثَمَّ بَابٌ لَمْ أَجِدْ مِفْتَاحَهُ
وَكِتَابٌ لَا أَعِي أَصْحَاحَهُ (١)
وَقُصَارَى الْمَرْءِ صَوْتٌ بَحَّهُ
فِي «أَنَا» أَوْ «أَنْتَ» يَهْذِي (٢) جَدَلَا
وَ«أَنَا» أَوْ «أَنْتَ» رَهْنٌ بِضَيَاعْ

(١) الاصحاح هوالسورة أوالفصل من التوراة

(٢) هذى الرجل يهذى هذيا وهذيانا تكلم بغير معقول . فهو هاذ وهذاء أى كثيرالهذيان . والمعنى : هنالك باب لم أعثر على مفتاح له يريد باب الغيب . وثم أيضاً كتاب لا أفهم آياته يريد كذلك كتاب الغيب . وغاية مجهود الانسان فى توخى ادراك الغيوب أن يبح صوته بالكلام يناظر ويجادل فى مسائل « أنا » و « أنت » يعنى الروح أى روح المتكلم وروح المخاطب وما هوأصلها وفصلها وكنهها وماهيتها . على ان هذه الروح الكائنة فى « أنا » و « أنت » أى فى وفيك — هى رهن بالزوال والفناء أى لا تستحق كل هذا الكد والعناء .

قَدْ سَأَلْتُ ٱلأَرْضَ عَنْ سِرِّ ٱلْوُجُودْ
وَسَأَلْتُ ٱلْبَحْرَ وَٱلرِّيحَ ٱلشَّرُودْ
وَٱلْحَيَا وَٱلْبَرْقَ يَسْرِي وَٱلرُّعُودْ
وَٱلدَّرَارِي[1] وَٱلسَّمٰوَاتِ ٱلْعُلَى
كُلُّهَا صَدَّتْ وَلَمْ تُنْصِتْ لِدَاعْ

(١) الدرارى الكواكب . يقول : وقفت وسط هذا العالم العجيب والكون الرائع المدهش وقفة الحيران ثم تلمست سرّ هذا النظام وحاولت استكشاف أصله واجتلاء غامضه من كل شيء أمامي فتارة أبحث في الارض وطبقاتها (كناية عن الابحاث الجيولوجية) وتارة أبحث في الرياح ومهابها والسحاب والامطار وأخرى في الاجرام والافلاك فلم توصلني هذه الابحاث الى يقين ولم تعني هذه المشاهد الكونية والآثار الطبيعية على اجتلاء أدنى طرف من أمنيتي بل كأنها جميعاً صدت عني ولم تصغ لاسئلتي ودعواتي

ثُمَّ سَاءَلْتُ الرَّقِيبَ الْمُخْتَفِي

خَلْفَ سِتْرِ الْكَائِنَاتِ الْمُسْجِفِ

أَيُّ نُورٍ لِلضَّلُولِ الْمُسْدِفِ(١)

يَكْشِفُ اللَّيْلَ الْبَهِيمَ الْأَلْيَلَا(٢)

قَالَ عَقْلٌ مُظْلِمٌ خَابِي الشُّعَاع

(١) الضلول صيغة مبالغة من ضال . أى الشديد الضلال والمسدف الذى أظلمت عيناه من آفة يقال أسدف الرجل اذا أظلم نور بصره من كبر أو غيره .

(١) والاليل الشديد الظلام .

المعنى : ثم وجهت سؤالى الى القوة المسيطرة على نظام العالم الرقيبة على تصرفات الكون وحركات البشر المختفية وراء ستر الطبيعة المنسدل فقلت لهذه القوة « خبريني ماذا أعددت من النور تزودين به الانسان الضال الهائم فى ظلمات الحياة ليكون له نبراساً يكشف به غياهب هذا الليل الأليل ؟ »

فأجابت هذه القوة (أعنى قوة القضاء) :

« أعددت له وزودته بعقل مظلم خامد الشعاع — لا يغنى فتيلاً ولا قطميراً . »

فَقَصَدْتُ الْجَامَ أَسْتَنْدِي فَمَهْ

بِفَمِي أَسْتَلُّ سِرًّا أَعْجَمَهْ (١)

عَنْ رَحِيقِ الْخُلْدِ قَالَ الْجَامُ « مَهْ (٢)

« قَدْ أَبَى ظَعْنُ الرَّدَى أَنْ يَقْفِلَا (٣)

فَأَدِرْهَا قَبْلَمَا يَنْعَاكَ نَاعْ

(١) أبهمه وستره . (٢) مه اسم فعل مبني على السكون بمعنى انكفف (أي أقصر واسكت) ولا تقل بمعنى اكفف لان اكفف يتعدى ومه لا يتعدى . (٣) يرجع .

المعنى : لما لم أجد فائدة من طروق ما طرقت من تلك الابواب في سبيل استطلاع سر الغيب الغامض قصدت جام الشراب أستندي فه بفمي أي أرشف فه بفمي ألتمس نداه أي برده وخمره أو أستنديه بمعنى أطلب نداه أي عطاءه ويكون عطاؤه اذن بمعنى ما أبتغي لديه من الافضاء الي بسر الخلود (المعبر عنه في الابيات برحيق الخلد) . فبماذا أجابني الجام ؟ قال انكفف عن هذا أي أقصر واسكت ودعك من هذه المسائل وحسبك أن تعلم ان ظاعني الموت متى سلكوا سبيله فلا رجعة لهم أبدا . فاستمتع بالكاس قبل الممات .

كَانَ هٰذَا ٱلْجَامُ حَيًّا يُرْزَقُ

وَهُوَ ٱلْيَوْمَ جَمَادٌ يَنْطِقُ

كُلَّمَا قَبَّلْتَ فَاهُ يَخْفِقُ

هَيَمَانًا(١) وَيَرُدُّ ٱلْقُبَــلَا

مِنْهُ حَيُّ ٱلْحِسِّ مَشْبُوبٌ(٢) رُوَاعْ(٣)

(١) هام الرجل هيما وهيمانا أحب انسانا . وعلى وجهه ذهب من العشق أو غيره لايدرى أين يتوجه فالهيمان الولوع والشوق قال الشاعر

رألثم فاه كى تزول حرارتى فيشتد ما ألقى من الهيمان

(٢) المشبوب هو المتوقد حدة وذكاء يقال رجل أروع مشبوب

* من قريش كل مشبوب أغر *

(٣) الرواع هو الرجل الحى النفس الذكى الفؤاد يقال شهم رواع

المعنى : يقول لا تعجبوا من توجيه سؤال للجام ورده على الجواب . فان هذا الجام المصنوع من التراب انما صيغ من تراب رفات الموتى فهو كان حيناً ما بشرا مثلنا حياً يرزق . فاذا رأيته اليوم جادا فانه جاد ناطق (أى بلسان الحال والعبرة) فاذا قبلت فه خفق من ذكرى عهود الصبابة يوم كان عاشقاً مثلك ولثمك مثل ما تلثمه .



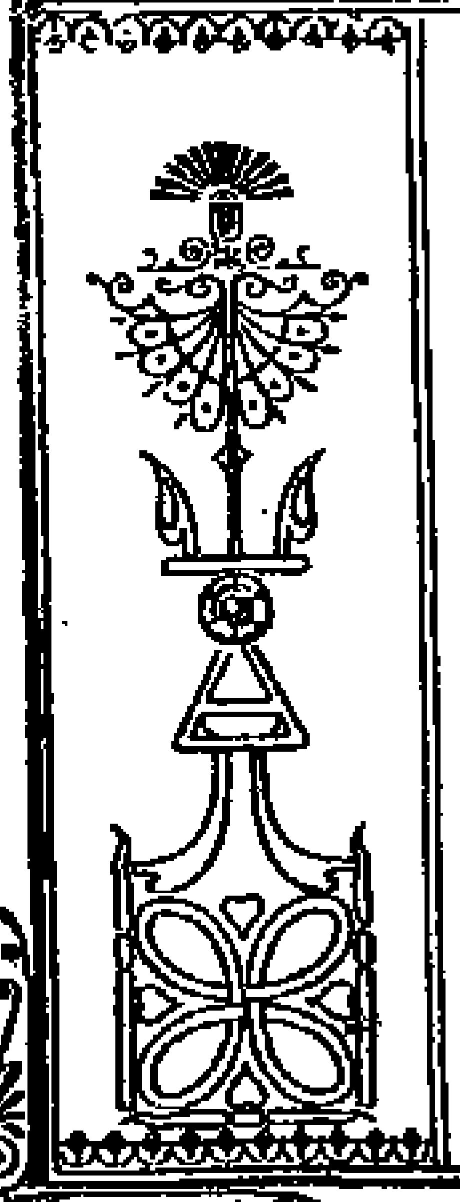
طُفتُ يوماً حولَ خزّافٍ لبِقْ (١)

يَصنعُ الأكوابَ من طينٍ لثِقْ (٢)

لطَمتْ كفّاهُ في عُنْفٍ وَخُرْقْ

طينةً فاسترحَمتْهُ وَجَلا (٣)

قالتِ «ارفُق لا تكن فظَّ الطِّباعْ»

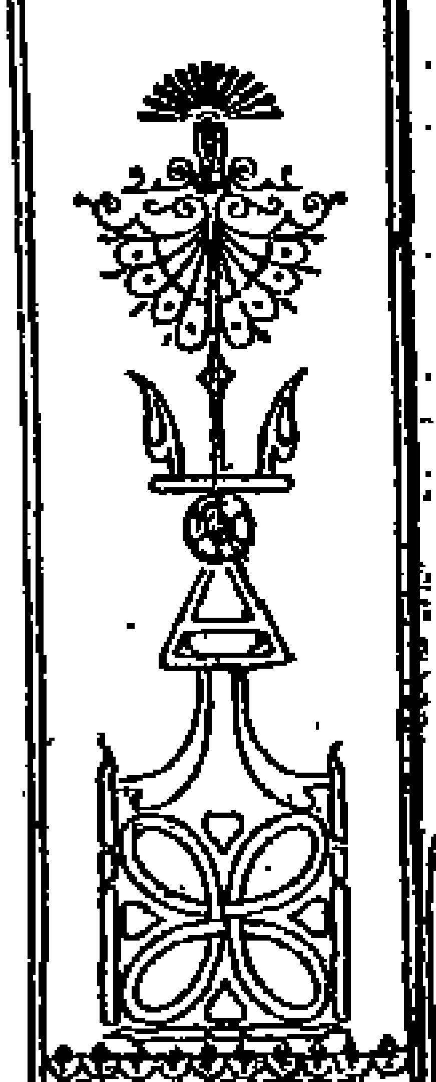


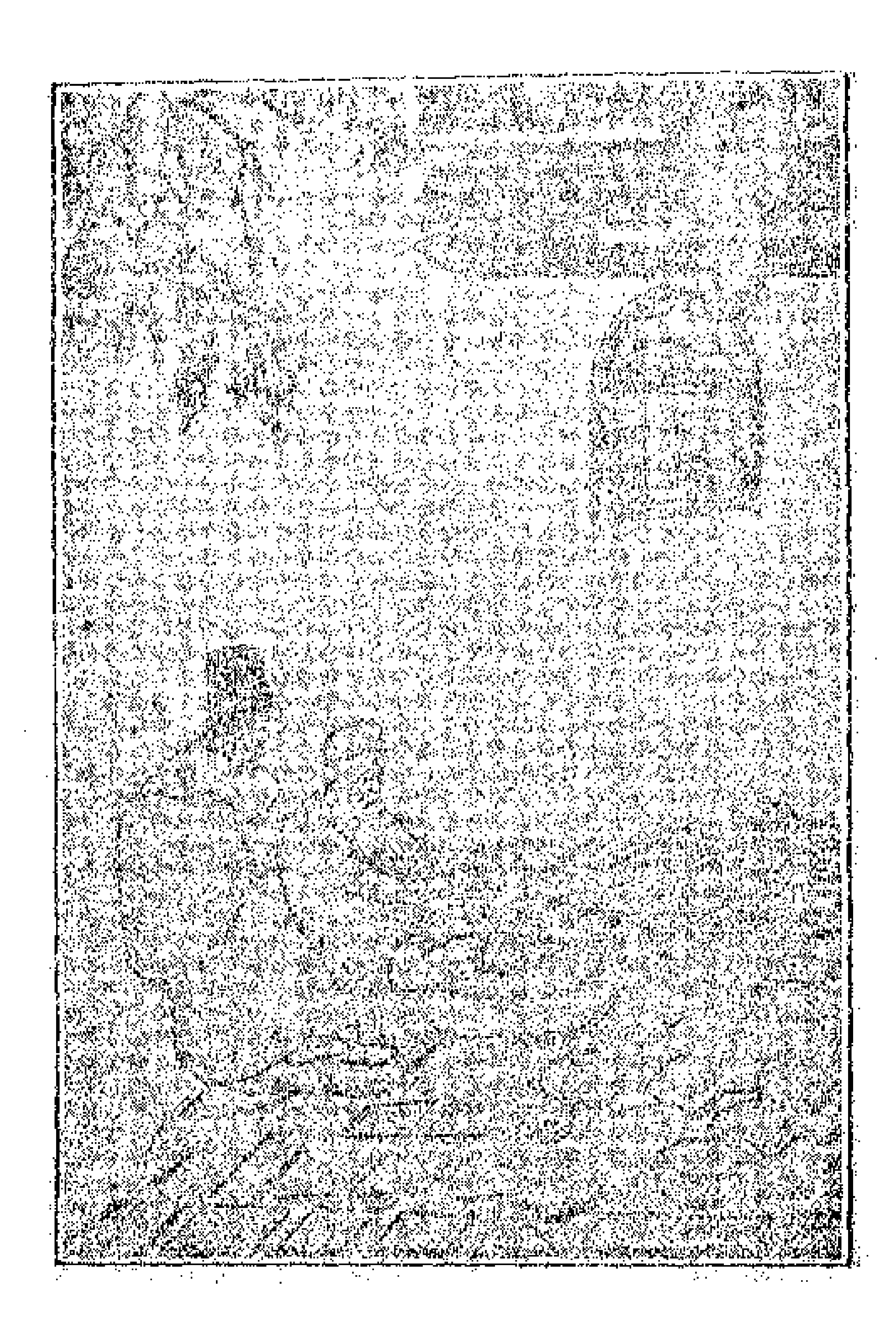
(١) الخزاف صانع الخزف أى آنية الفخار والبق الحاذق الماهر الصناع الكف .

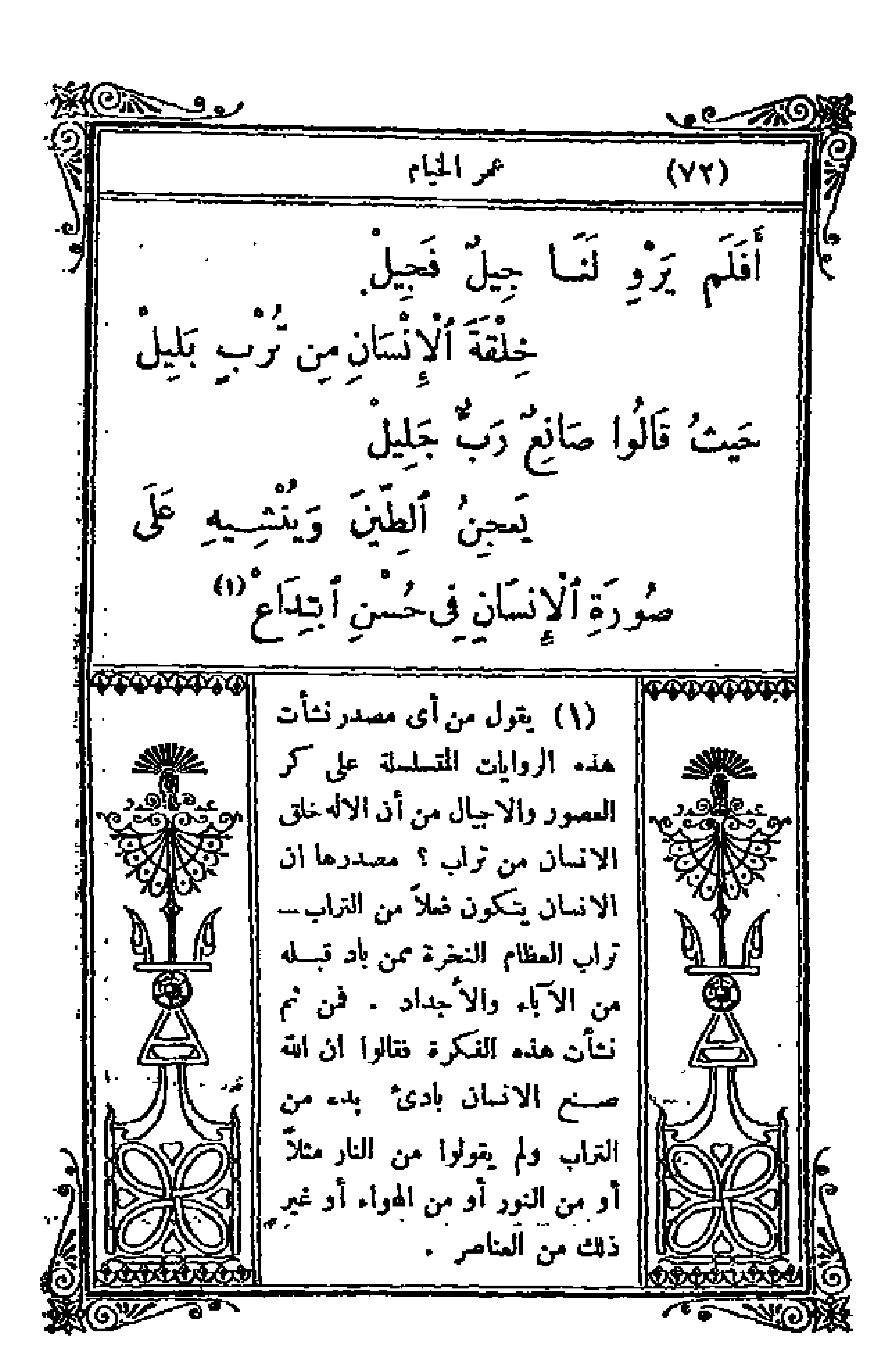
(٢) اللثق الشىء يبله ونداه واللثق المبتل .

(٣) خوفا أى خوفاً من وقع لطماته الشديدة . .

المعنى : يقول كأنى سمعت الطينة فى يد الخزاف حين لطمها بعنف وخرق تقول له مبتهلة مستعطفة «رفقاً بى لا تكن عسوفا عنيفاً »

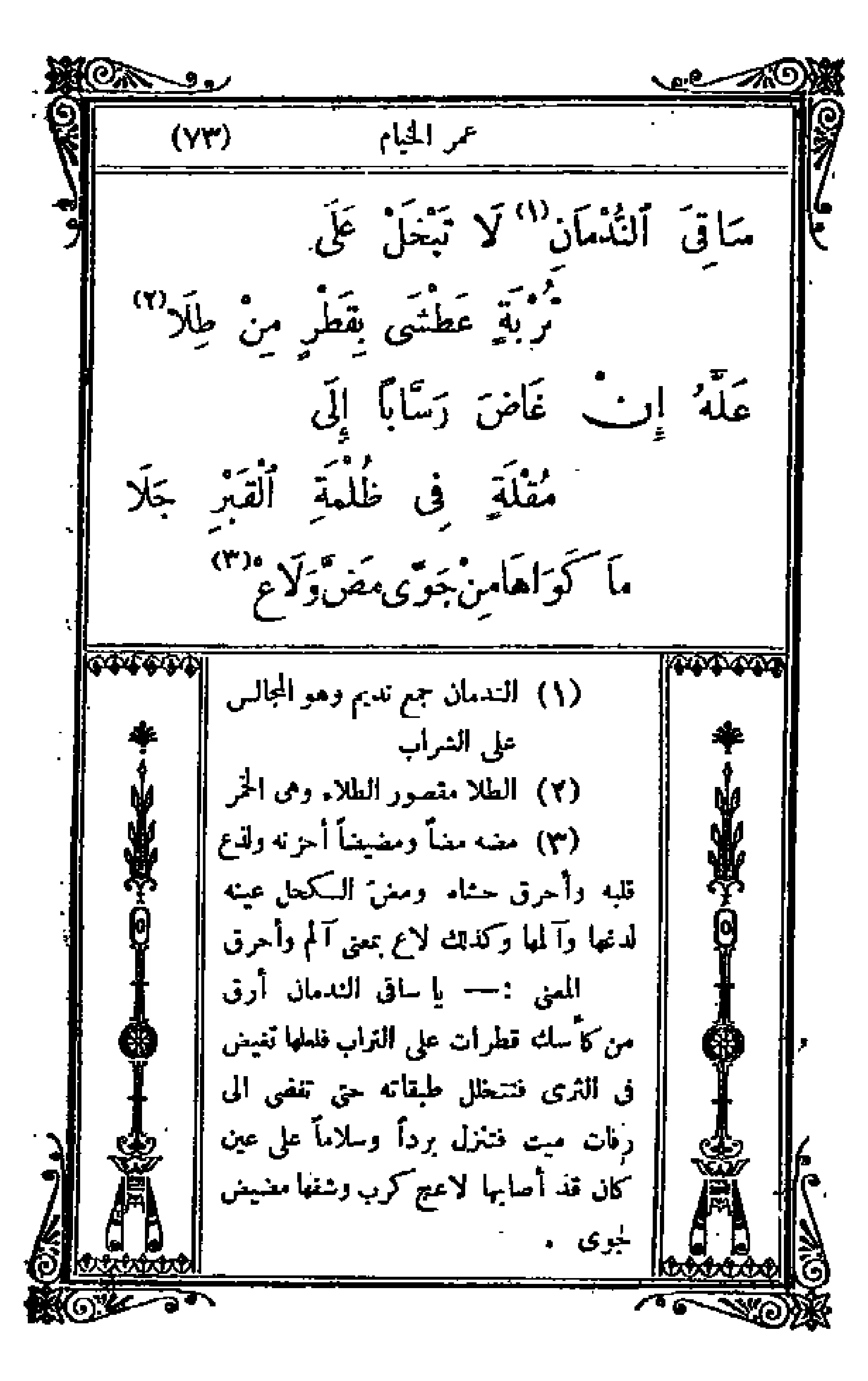






أَفَلَمْ يَرْوِ لَنَا جِيلٌ فَجِيلْ
خِلْقَةَ ٱلْإِنْسَانِ مِن تُرْبٍ بَلِيلْ
حَيثُ قَالُوا صَانِعٌ رَبٌّ جَلِيلْ
يَعجِنُ ٱلطِّينَ وَيُنْشِيهِ عَلَى
صُورَةِ ٱلْإِنسَانِ فِي حُسْنِ ٱبْتِدَاعْ[1]

(١) يقول من أى مصدر نشأت هذه الروايات المتسلسلة على كر العصور والاجيال من أن الاله خلق الانسان من تراب ؟ مصدرها ان الانسان يتكون فعلاً من التراب — تراب العظام النخرة ممن باد قبله من الآباء والأجداد . فمن ثم نشأت هذه الفكرة فقالوا ان الله صنع الانسان بادئ بدء من التراب ولم يقولوا من النار مثلاً أو من النور أو من الهواء أو غير ذلك من العناصر .



سَاقِيَ ٱلنُّدْمَانِ(١) لَا تَبْخَلْ عَلَى
تُرْبَةٍ عَطْشَى بِقَطْرٍ مِنْ طِلَا(٢)
عَلَّهُ إِنْ غَاضَ رَشَّاً إِلَى
مُقْلَةٍ فِي ظُلْمَةِ ٱلْقَبْرِ جَلَا
مَا كَوَاهَا مِنْ جَوًى مَضَّ وَلَاعْ(٣)

(١) الندمان جمع نديم وهو المجالس على الشراب

(٢) الطلا مقصور الطلاء وهى الخمر

(٣) مضه مضاً ومضيضاً أحزنه ولذع قلبه وأحرق حشاه ومضّ الكحل عينه لدغها وآلمها وكذلك لاع بمعنى آلم وأحرق

المعنى :— يا ساقي الندمان أرق من كأسك قطرات على التراب فلعلها تغيض في الثرى فتتخلل طبقاته حتى تفضي الى رفات ميت فتنزل برداً وسلاماً على عين كان قد أصابها لاعج كرب وشفها مضيض الجوى .



وَكَمَا رَيْحَانَةٌ مَدَّتْ يَدَا

تَسْتَقِي مِنْ مُزْنَةٍ (١) خَمْرَ النَّدَى

دَوِّ بِالإِبْرِيقِ مَشْبُوبَ الصَّدَى

قَبْلَمَا تُكْفَى (٢) كَإِبْرِيقٍ خَلَا

كَبَّهُ (٣) الْحَاسُونَ إِبَّانَ الْوَدَاعْ

(١) السحابة البيضاء

(٢) تقلب رأساً على عقب . أصله تكفأ فحذفت الهمزة تخفيفاً .

(٣) كبه بمعنى كفأه أو قلبه

المعنى :— احذ حذو الريحانة اذ تمد يدها الى المزنة تستمطرها خمر الندى . فامدد أنت يدك كذلك الى مزنة الخمر او اكفة عليك من الابريق فاشف بردها مشتعل الصدى افعل ذلك قبلما تقلب رأساً على عقب في غيابة القبر كما يقلب الابريق حين ينفد ما به من الشراب عند انصراف الندامى

وَاحْتَضِنْ فِي كَرَّةِ الْعُمْرِ الزَّفِيفْ[1]
كُلَّ غُصْنٍ أَهْيَفِ الْقَدِّ رَهِيفْ
قَبْلَمَا تَحْضُنُكَ الْأُمُّ الْمَطُوفْ
فِي حَشَاهَا حِينَ تَلْقَى الْأَجَلَا
لَيْسَ لِلثَّاوِي بِمَلْحُودٍ[2] مَتَاعْ

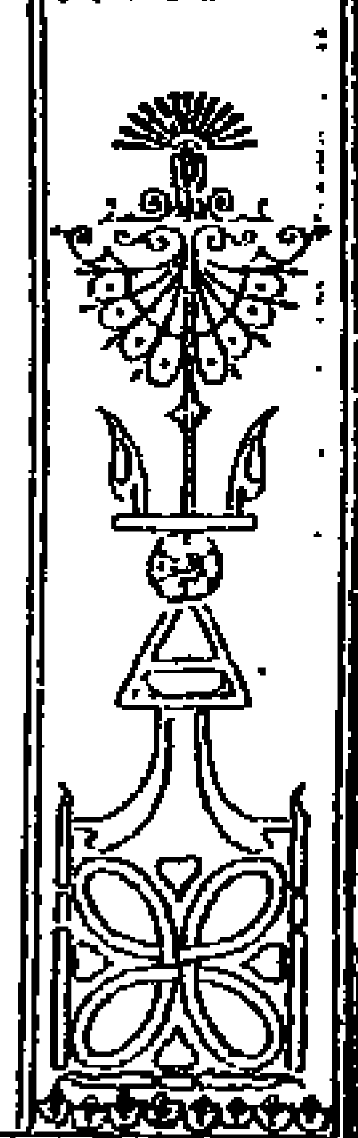
(١) الزفيف السريع . زف الظليم وغيره يزف زفا وزفوفاً وزفيفاً أسرع . ومنه يقال زف القوم أسرعوا . وفي التنزيل : « فأقبلوا اليه يزفون » أي يسرعون . وزفت الريح هبت في مضاء ولين .

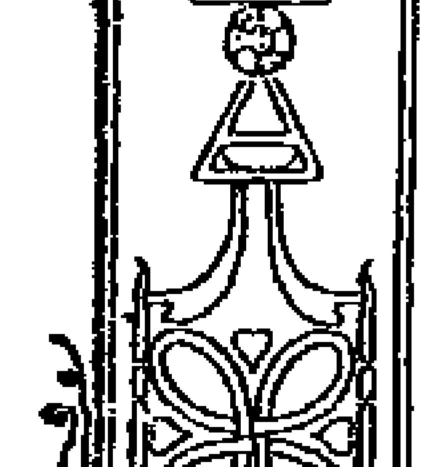
(٢) الملحود هو اللحد وهو الشق المائل يكون في عرض القبر أي جانبه ج الحاد ولحود .

المعنى : يقول خذ ريك وشبعك من اللذات والمناعم في سويعات العمر القليلة معتنقاً كل ما يعرض لك من القدود الهيف المياسة من خوط بان . أو قد غانية مفتان — افعل ذلك قبلما تحضنك أمك الحدبة العطوف عليك أعني الارض تأخذك في أحضانها حينما يرميك ثمت الموت ثم لا تحسبن ان بعد الممات لذة فليس بعد ذلك سوى الثواء في القبر ولا متاع هنالك .


النشيد الثاني

إشْرَبِ ٱلصَّهْبَاءَ فِى ظِلِّ ٱلصِّبَا
مَا زَهَا وَرْدٌ بِتِيجَانِ ٱلرُّبَى
وَإِذَا سَاقِى ٱلْمَنَايَا أَوْجَبَا
شَرْبَةً مَضَّتْ وَمَرَّتْ مَطْعَمَا
فَٱحْسُ جَلْداً جَرْعَةَ ٱلْمَوْتِ ٱلزُّؤَامْ (١)

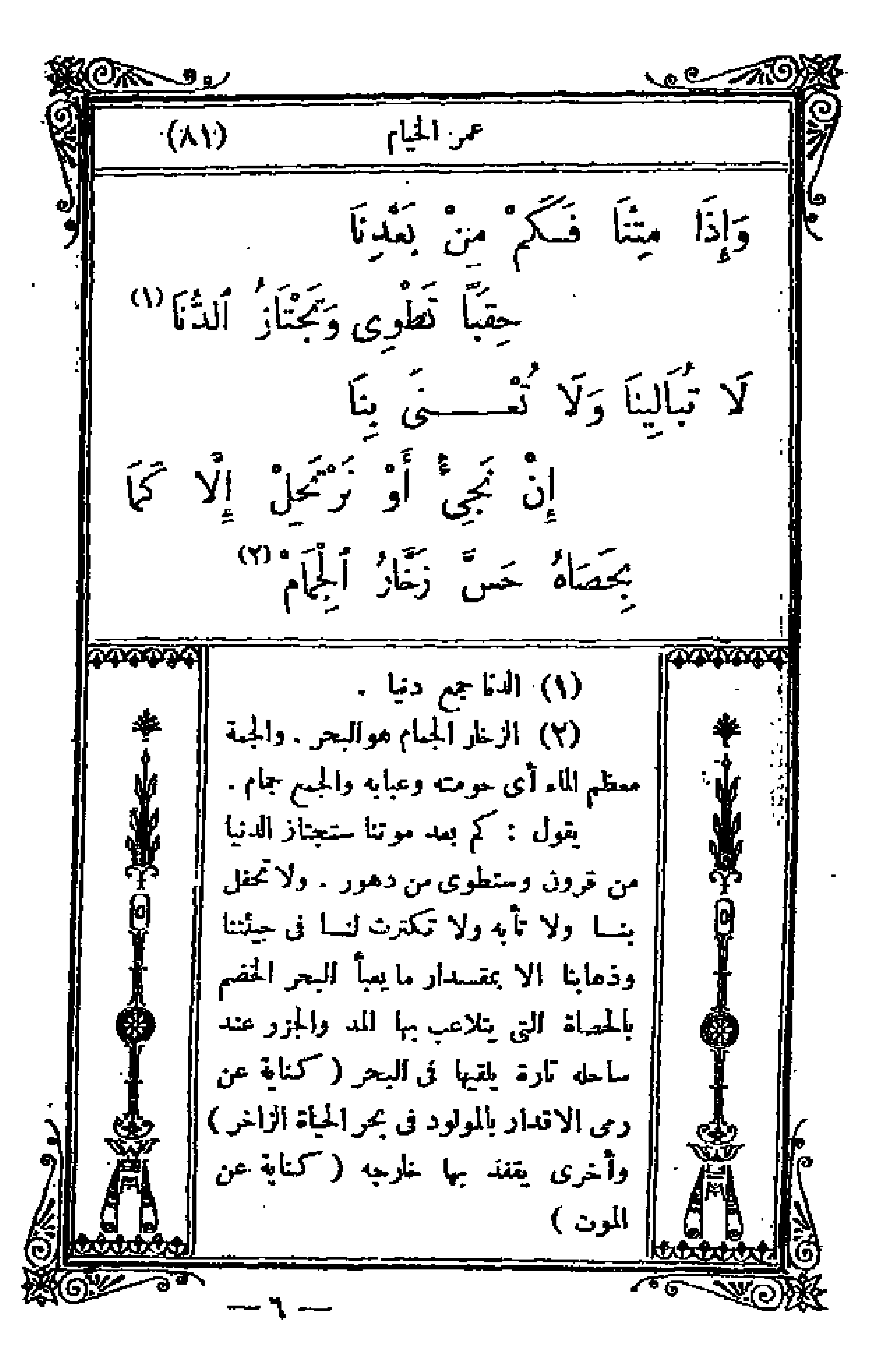




(١) الزؤام من الموت الكريه أو المجهز أى السريع يقال زأم الرجل يزأم زأما وزؤاما مات سريعاً . يقول اشرب الصهباء (وهى الخمر أو المعصورة من عنب أبيض وهو اسم لها كالعلم سميت به للونها الاصهب أى الاحمر أو الاشقر) فى نعيم الشباب ما دامت الدنيا . حتى اذا طلع عليك الموت وأدار عليك ساقى المنون كأسه الكريهة فاشربها جلداً جريئاً غير هياب ولا جزع .

أَتُرَى إِنْ مِتَّ أَنَّ ٱلْعَالَمَا
يَفْقِدُ ٱلْفَذَّ ٱلْفَرِيدَ ٱلْعَلَمَا
أَمْ تُرَى ٱلْقَالَبَ أَمْسَى حُطَمَا
كَمْ حَبَابٍ مِثْلِنَا قَدْ سَجَمَا
وَأَرَاهُ سَاجِمًا، سَاقِي ٱلدَّوَامْ (١)

(١) الدوام هو الابد . وساق الدوام كناية عن الاله الذى لا يزال يصب على أديم هذا العالم الأرضى من صحنه الأبدى فواقع وحبابا فصحنه الأبدى كناية عن خزانة الغيب المملوءة بالخلائق قبل ابرازها الى الدنيا . والفواقع والحباب المصبوبة من هذا الصحن أو هذه الخزانة هى النـاس . يقول : لا تحسبن موتك مصابا جللا على الدنيا فانها بخسارتها اياك لن تخسر شيئاً عظيما ولن تفقد الرجل الفرد الفذ النادر المثال . ولا تخالن ان القدرة الالهية التى صاغتك ستعجز بعدك عن صوغ مثلك كما لو كان قالبك قد تحطم ولا يمكن ايجاد قالب مثله .



وَإِذَا مِتْنَا فَكَمْ مِنْ بَعْدِنَا
حِقَبًا تَطْوِى وَتَجْتَازُ الدُّنَا (١)
لَا تُبَالِينَا وَلَا تُعْــنَى بِنَا
إِنْ نَجِئْ أَوْ نَرْتَحِلْ إِلَّا كَمَا
بِحَصَاهُ حَسَّ زَخَّارُ الْجِمَامْ (٢)

(١) الدنا جمع دنيا .

(٢) الزخار الجمام هو البحر . والجمة معظم الماء أى حومته وعبابه والجمع جمام .

يقول : كم بعد موتنا ستجتاز الدنيا من قرون وستطوى من دهور . ولا تحفل بنا ولا تأبه ولا تكترث لنا فى جيئتنا وذهابنا الا بمقدار ما يعبأ البحر الخضم بالحصاة التى يتلاعب بها المد والجزر عند ساحله تارة يلقيها فى البحر (كناية عن رمى الاقدار بالمولود فى بحر الحياة الزاخر) وأخرى يقذف بها خارجه (كناية عن الموت)

قِفْ بِوَادِي ٱلْمَوْتِ[1] وَهْنًا[2] تَحْتَسِ
مِنْ يَنَابِيعِ حَيَاةِ ٱلْأَنْفُسِ[3]
قَدْ خَبَا مِصْبَاحُ نَجْمِ ٱلْحِنْدِسِ[4]
وَسَرَى ٱلرَّكْبُ[5] يَؤُمُّ ٱلْعَدَمَا
صَاحِ شَمِّرْ لِلنَّوَى ذَيْلَ ٱعْتِزَامْ

(١) المراد بوادي الموت الدنيا لأنها مكان الموت ودار الفناء .

(٢) الوهن نحو من نصف الليل أو بعد ساعة منه . وقال الاصمعي هو حين يدبر الليل وهو المراد ههنا .

(٣) وحياة الانفس هي هذه الحياة الدنيا .

(٤) والحندس الظلام .

(٥) والمراد بالركب بنو البشر أعني ركب الانسانية الذي يهوي من ظلمات العدم الى هذه الحيـاة الدنيا فيلبث فيها برهة ثم يرحل عنها والجا ظلمات العدم ثانيا . والمراد : قف بهذه الحياة الدنيـا قليلاً فاشرب ماء الحياة من ينابعه أي تمتع بالحياة وتنسم أنفاسها ثم شمر أذيالك للرحيـل فان أهل جيلك قد هموا بالرحلة الى أفق العدم .

لَا تَضِقْ هَمًّا لِأَمْسٍ وَغَدِ
أَمْسُ أَوْدَى(١) وَغَدٌ لَمْ يُولَدِ
وَيْلَتَا إِنْ ضَاعَ يَوْمِي مِنْ يَدِي
عَاطِلًا مِنْ زِينَةِ ٱللَّهْوِ وَمَا
صَقَلَتْ أَطْرَافَهُ شَمْسُ ٱلْمُدَامْ

(١) هلك وذهب . والمعنى لا تحزن على مافات . ولاتلهف على ماهوآت . ولا توزع قلبك بين حسرة على فرصة أفلتتك بعد لجاج فى طلبها واعناق . واشفاقة على أمنية تخشى عليها بوادر الاخفاق . ولا تجعل فؤادك نهباً مقسما بين ماض لاتأمل رجوعه ولا ترتجيه . ومستقبل لا تعلم ما الله صانع فيه . وليكن همك محصوراً فى يومك الذى بين يديك . فهذا أنفع لك واجدى عليك فويل لك ان أفلت يومك منك ولم تستمتع به ولا حليته بمحاسن الملاذ والمناعم . ولا صقلت طرفيه بريق المدام . وبريق الجام .

تُنفِقُ العُمْرَ القصيرَ المُزْهَقا (١)

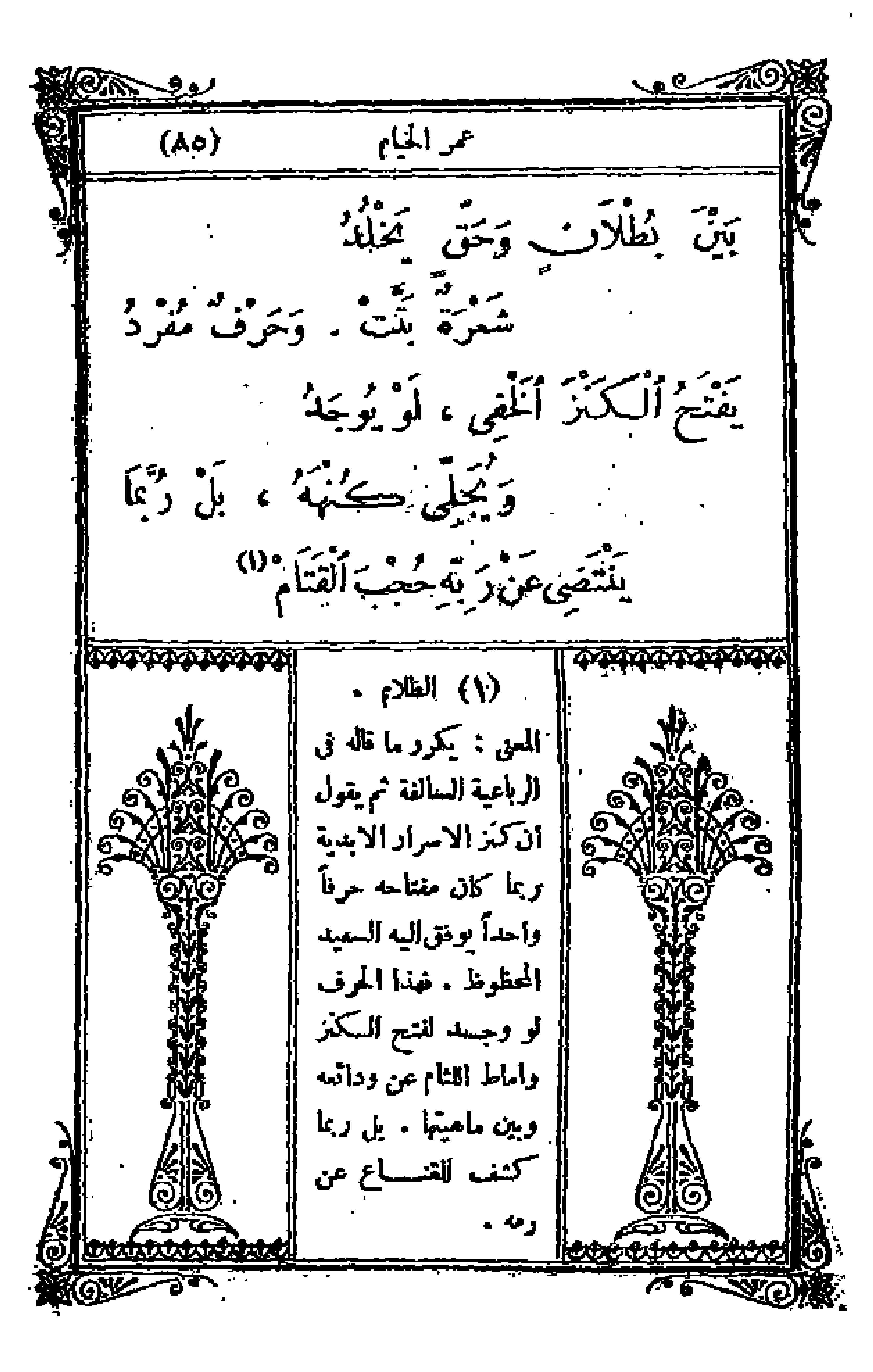
فِي اجْتِلاءِ السِّرِّ جهلاً مُطْبِقا (٢)

أتُرَى عُمْرَ الفتى قد عُلِّقا

بِسِوَى خَيْطٍ ؟ وماذا حَسْبُنا

غيرُ خَيْطٍ بَيْنَ نُورٍ وظَلام (٣)

(١) الذاهب (٢) سر عالم الغيب (٣) النور كناية عن العلم والظلام كناية عن الجهل . المعنى : يقول « أتحاول حمقاً وسفهاً أن تستكشف سر الغيب — فاذا أعطيت من العمر وطول المكث فى هذه الحياة حتى توهمت أن فى قدرتك محاولة هذا الامر الذى قد يستنفد الازمان المديدة بلا جدوى فكيف بعمرك القصير الناصل المعلق على خيط أى على أهون سبب وأقل حادث يفنيه أيسر طارئ . ثم استطرد من ذلك الى مايشبهه من تعلق ظهور الحق واختفاء الباطل على خيط أيضاً أى على أقل فكرة أو خاطرة تسنح لذهن الانسان فتكون الحاسم بين ما انقشع بفضل هذا الوحى والالهام من ظلمات الجهل وما يخلفه من نور العلم والعرفان . ولا بدع فان معظم النظريات العلمية التى قلبت نظام العالم وغيرت شكله كانت من قبيل الوحى والالهام الذى يخيل للانسان كأنه كان معلقاً على شعرة .



بَيْنَ بُطْلاَنٍ وَحَقٍّ يَخْلُدُ

شَعْرَةٌ بَتَّتْ . وَحَرْفٌ مُفْرَدُ

يَفْتَحُ الْكَنْزَ الْخَفِي ، لَوْ يُوجَدُ

وَيُجَلِّي كُنْهَهُ ، بَلْ رُبَّمَا

يَنْتَضِي عَنْ رَبِّهِ حُجْبَ الْقَتَامْ (١)

(١) الظلام .

المعنى : يكرر ما قاله فى الرباعية السالفة ثم يقول ان كنز الاسرار الابدية ربما كان مفتاحه حرفاً واحداً يوفق اليه السعيد المحظوظ . فهذا الحرف لو وجد لفتح الكنز واماط القتام عن ودائعه وبين ماهيتها . بل ربما كشف القناع عن ربه .

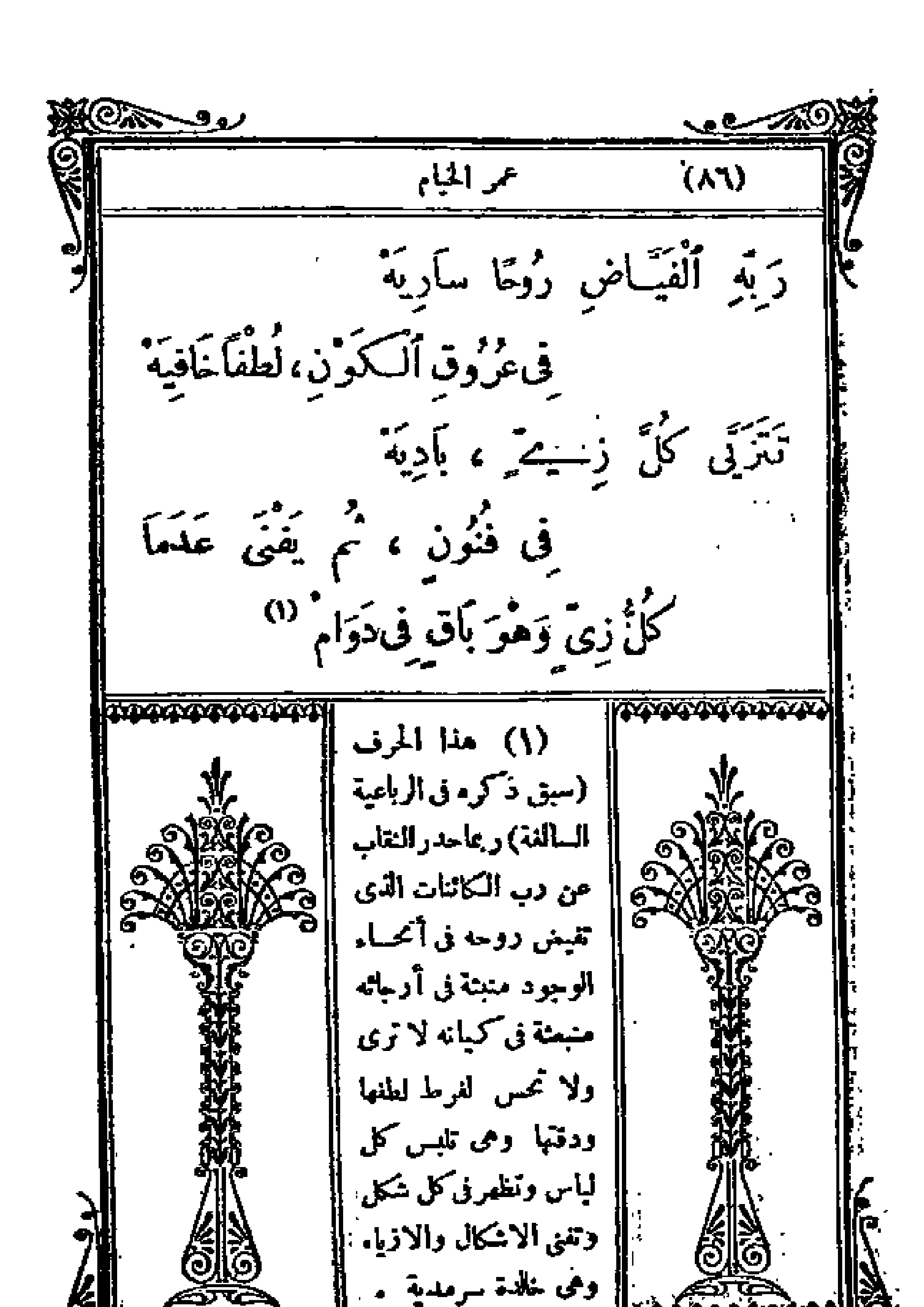
رَبّهِ ٱلْفَيّاضِ رُوحًا سارِيَهْ

فِى عُرُوقِ ٱلْكَوْنِ، لُطْفًا خَافِيَهْ

تَتَزَيَّى كُلَّ زِيٍّ ، بَادِيَهْ

فِى فُنُونٍ ، ثُمَّ يَفْنَى عَدَمَا

كُلُّ زِيٍّ وَهْوَ بَاقٍ فِى دَوَام (١)



(١) هذا الحرف (سبق ذكره فى الرباعية السالفة) ربما حدر النقاب عن رب الكائنات الذى تفيض روحه فى أنحاء الوجود منبثة فى أرجائه منبعثة فى كيانه لا ترى ولا تحس لفرط لطفها ودقتها وهى تلبس كل لباس وتظهر فى كل شكل وتفنى الاشكال والازياء وهى خالدة سرمدية .

يَشهدُ الملهاةَ حيٌّ رَجُما
كلُّ ظنٍّ في عَوِيصٍ أبهما
ثُمَّ يطويها بغيبٍ أظلما
ربُّها ، نظّارُها ، من نظما
عِقدَها ، لعّابُ أدوارِ النظام [1]

(١) المعنى : يقول ان ملهاة الحياة أى مهزلتها أو روايتها الهزلية تمثل بمرأى من البشر فيشهدها كل حيّ لايبرح من تفهمها وتعرف معمياتها ومشكلاتها فى نصب ناصب وبرح مبرح . ثم تطوى عن بصره الملهاة أى الرواية (وهذا كناية عن موته هو — لان الرواية باقية سرمدية وتمثيلها مستمر يشغل الابد الدائم) ومن ذا الذى يطوى الرواية وراء ظلمة الغيب ؟ يطويها ربها الذى لايزال يشهد تمثيلها وهو الذى نظم عقدها أى ألفها ووضعها وهو أيضاً الذى يلعب أدوارها أعنى انه هو فى آن واحد المؤلف والممثل والمتفرج



فَادَّخِرْ عُمْرًا نَفِيسًا وَصُنْ
عَنْ مُمَارَاةِ (١) فَقِيهٍ لَسِنِ
إِنَّ خَيْرًا لَكَ مِنْ أَنْ تَجْتَنِي
عَدَمًا مِنْ فِقْهِهِ أَوْ نَدَمَا
مُجْتَنَى اللَّذَّاتِ مِنْ أُنْسِ النِّدَامْ (٢)

(١) مجادلة
(٢) المنادمة وهى المجالسة على الشراب

المعنى : صن نفيس أوقاتك عن اضاعتها سدى فى مجالس البحث وأندية الجدال مع الفقهاء والمتكلمين فانك لست جانيا من فلسفتهم وفقههم الا العدم (أى لاشيء) أو الندم (أعنى الندم على ماأضعته بينهم من ساعات عمرك) — فأحسن من هذا وأمتع اجتناؤك اللذات من مؤانسة الندمان على الراح . ومجالستهم حول الاقداح .

قُلْ لِمَنْ يَهْوَى عِيدَانِ الْجَدَلْ

أَنْ يُضِلَّ الْعَقْلَ فِي لُغْزِ الْأَجَلْ

حَبَّذَا لَوْ فِي تَلَافِيفِ[1] الْخُصَلْ[2]

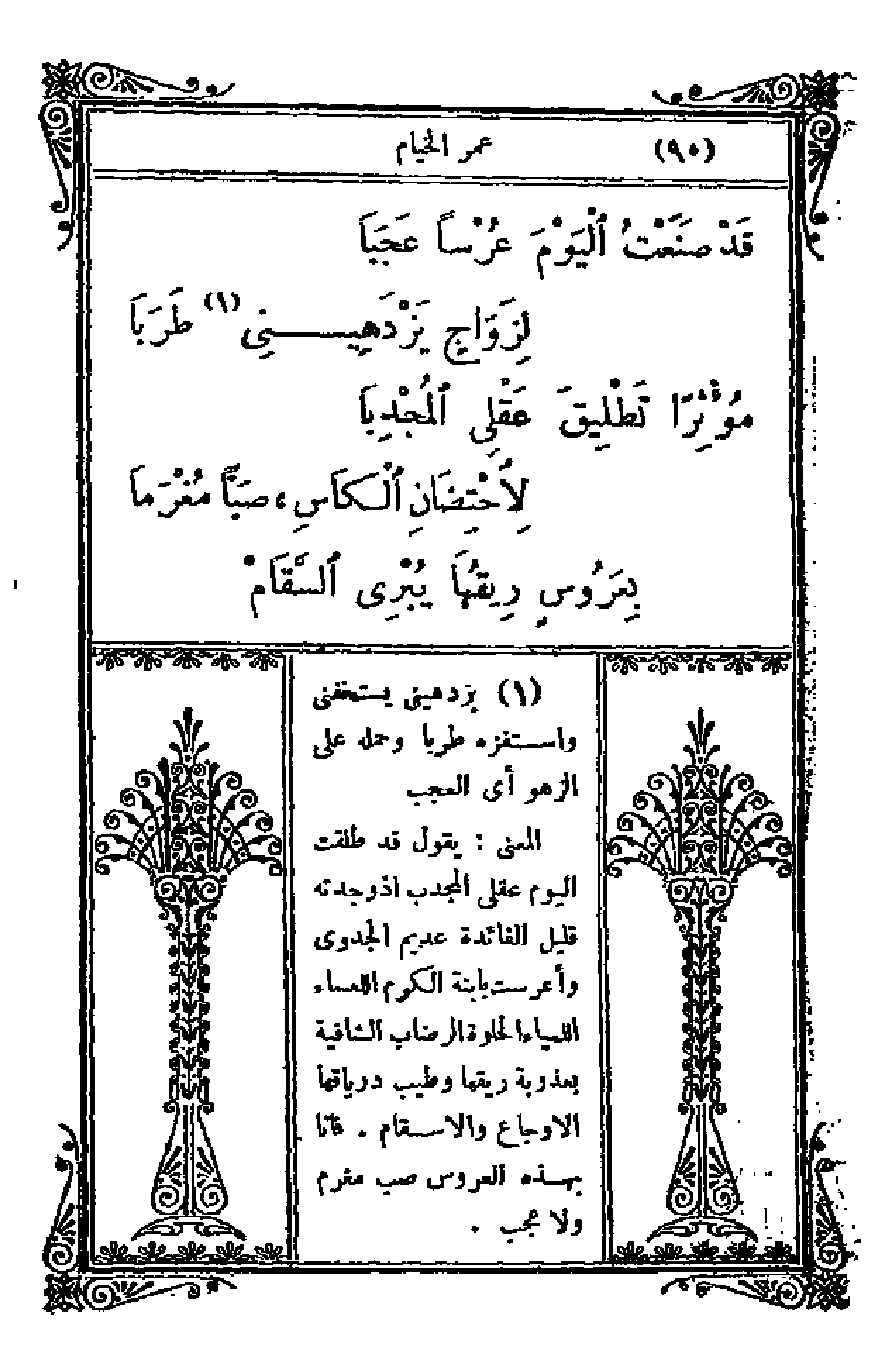
ضَلَّ كَفَّاكَ بِتِيهٍ أَطْلَمَا

مِنْ دَيَاجِي فَرْعِ هَيْفَاءِ الْقَوَامْ

(١) التلافيف النبات الملتف . يقال فى أرضهم تلافيف من عشب

(٢) والخصلة من الشعر الذؤابة وتلافيف الخصل الشعر المجعد الجثل الذى كأنه النبات الملتف .

المعنى : قل للذى يحب اضلال عقله مع طائفة الجدليين فى مسائل الموت والقيامة والفناء والخلود وماشاكل ذلك من الالغاز والمعميات — خير لك أن تضل كفيك فى ألغاز أحلى وأشياء أشهى من هذه . أعنى فى ظلمات الذوائب المنسدلة من فروع الخرد الغيد ، الهيف القدود .



قَدْ صَنَعْتُ ٱلْيَوْمَ عُرْساً عَجَبَا

لِزَوَاجٍ يَزْدَهِينِي (١) طَرَبَا

مُؤْثِرًا تَطْلِيقَ عَقْلِي ٱلْمُجْدِبَا

لِاحْتِضَانِ ٱلْكَاسِ، صَبًّا مُغْرَمَا

بِعَرُوسٍ رِيقُهَا يُبْرِي ٱلسَّقَامْ

(١) يزدهيني يستخفني واستفزه طربا وحمله على الزهو أي العجب

المعنى : يقول قد طلقت اليوم عقلي المجدب اذ وجدته قليل الفائدة عديم الجدوى وأعرست بابنة الكرم الصهباء الحلوة الرضاب الشافية بعذوبة ريقها وطيب درياقها الاوجاع والاسقام . فانا بهذه العروس صب مغرم ولا عجب .

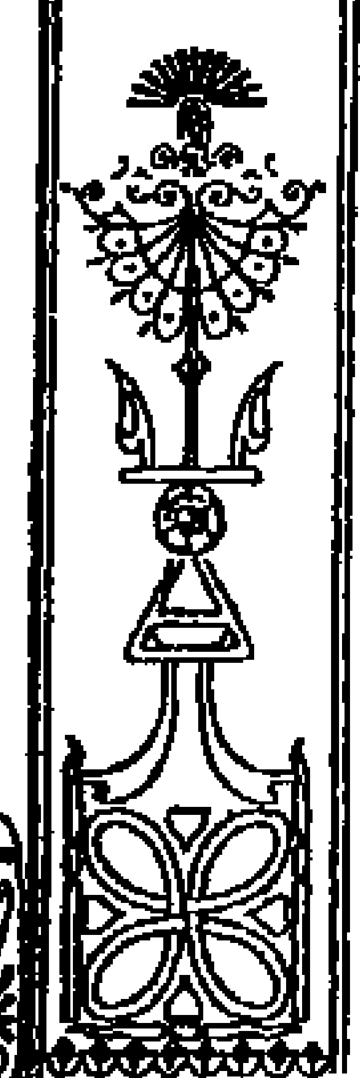
أَنَا مَهْمَا رُمْتُ تَكْيِيفَ(١) الْأَبَدْ

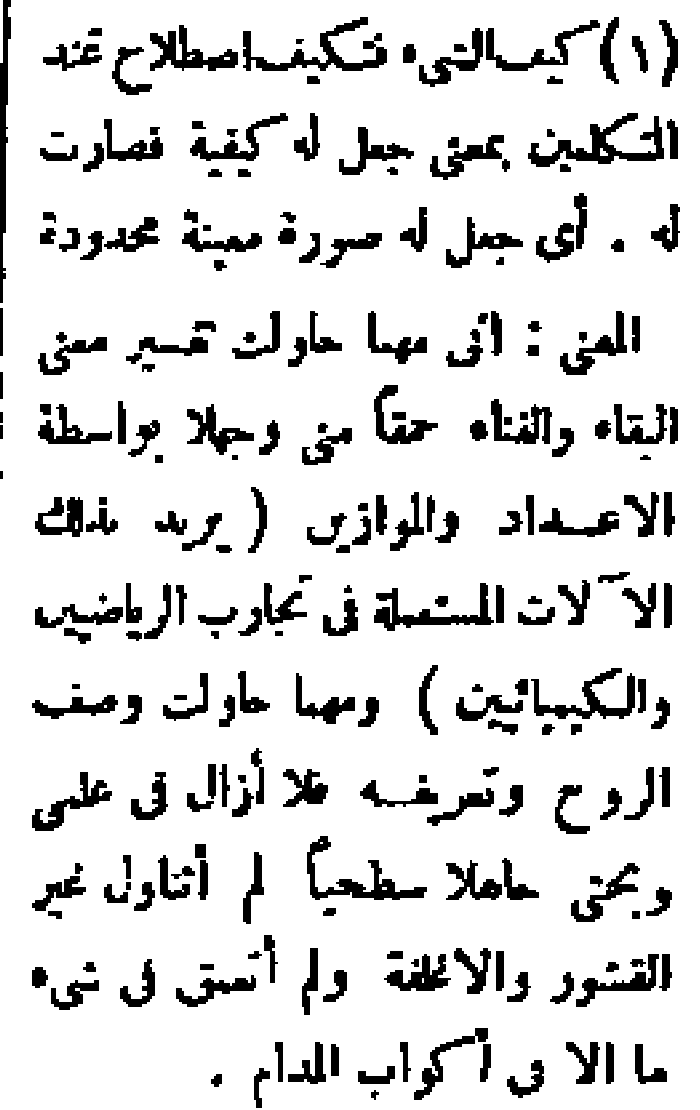
وَالْفَنَا ، حُمْقاً ، بِوَزْنٍ أَوْ بِعَدْ

أَنْعَتُ الرُّوحَ بِتَعْرِيفٍ وَحَدْ

لَمْ أَنَلْ أَعْمَاقَ شَيْءٍ غَيْرَ مَا

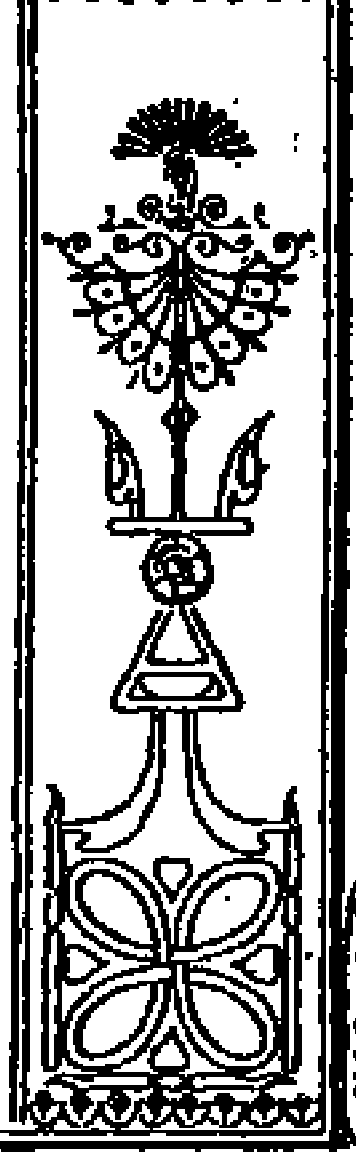
خُضْتُ مِنْ أَعْمَاقِ إِبْرِيقٍ وَجَامْ





(١) كيف الشيء تكييف اصطلاح عند المتكلمين بمعنى جعل له كيفية فصارت له . أي جعل له صورة معينة محدودة

المعنى : أني مهما حاولت تفسير معنى البقاء والفناء حمقاً مني وجهلا بواسطة الاعداد والموازين (يريد بذلك الآلات المستعملة في تجارب الرياضيين والكيميائيين) ومهما حاولت وصف الروح وتعريفه فلا أزال في علمي وبحثي جاهلا سطحياً لم أتناول غير القشور والاغلفة ولم أتعمق في شيء ما الا في أكواب المدام .



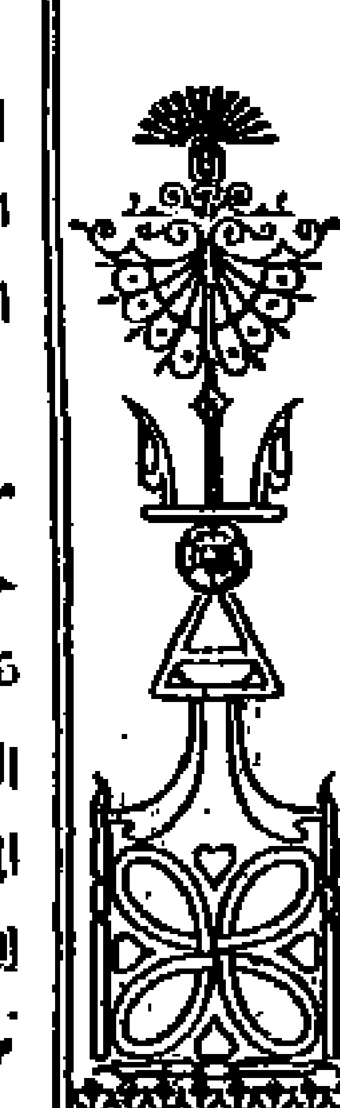
طَافَ بِي تَحتَ الدُّجى طَيْفُ مَلَكْ

مُشرِقاً، يَفرِي(١) جَلابِيبَ الحَلَكْ

حَامِلاً كُوزاً فَأومَا «هَيْتَ لَكْ

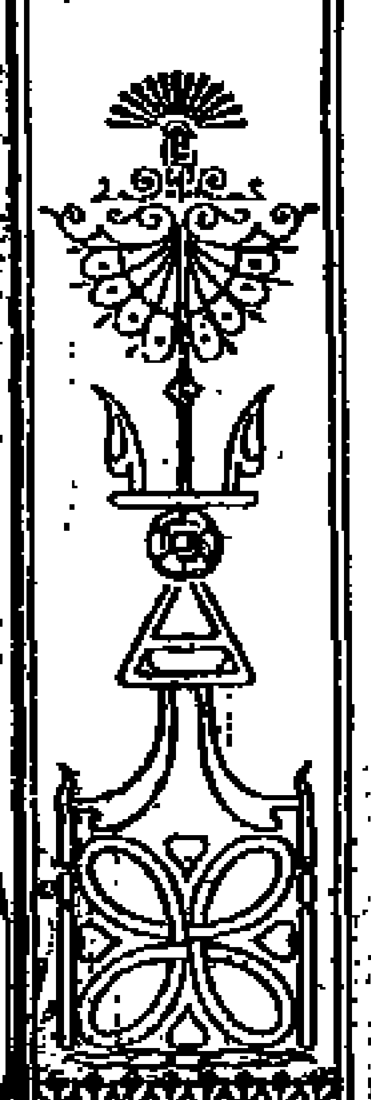
إنَّ فِيهِ لِشَقِيٍّ مَنْعَمَا»

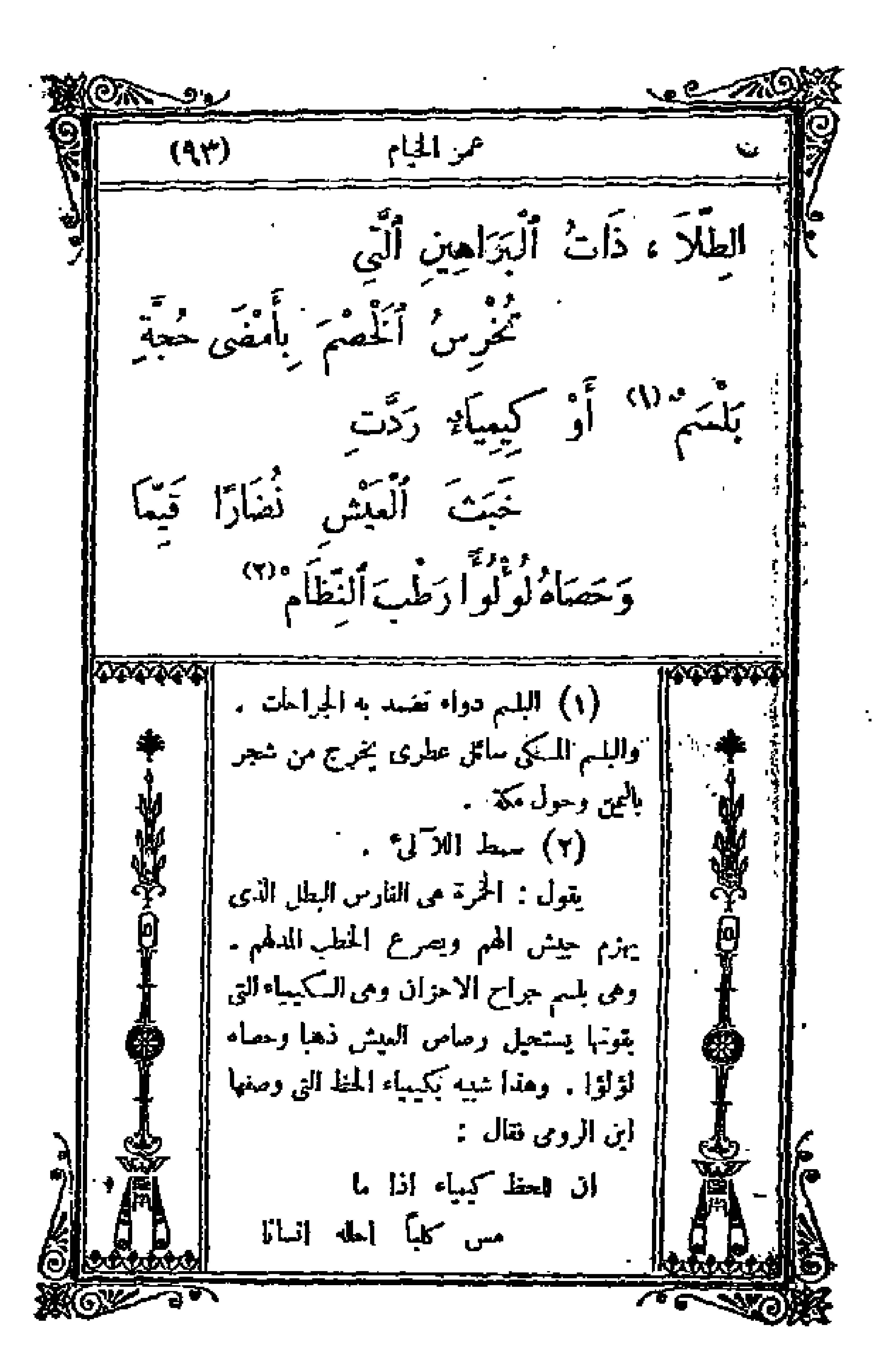
ذُقتُهُ حَسْوًا فَأَلْفَيْتُ المُدَامْ



(١) يقطع ويشق . وجلابيب الحلك الظلام المتكاثف . والمعنى يجلو الظلام بنوره واشراقه كما لو كان سناه الوهاج سيفاً يهتك أستار الدجى .

المعنى : ألم بي في الظلام طيف من زمرة الملائكة القدسيين مشرقاً في حلك الليل يحمل كوزاً فيه شراب تقدمه إلي وسألني أن أذوقه فوجدت الذي به هو الخمر ذاتها — اشارة الى ان الخمر شراب الملائكة وانها الوسيلة الى ادراك الغيب واجتلاء نور الحق ..





الطِّلاَءُ ذَاتُ ٱلْبَرَاهِينِ ٱلَّتِي

تُخْرِسُ ٱلْخَصْمَ بِأَمْضَى حُجَّةٍ

بَلْسَمٌ(١) أَوْ كِيمِيَاءُ رَدَّتِ

خَبَثَ ٱلْعَيْشِ نُضَارًا قَيِّمًا

وَحَصَاهُ لُؤْلُؤًا رَطْبَ ٱلنِّظَامْ(٢)

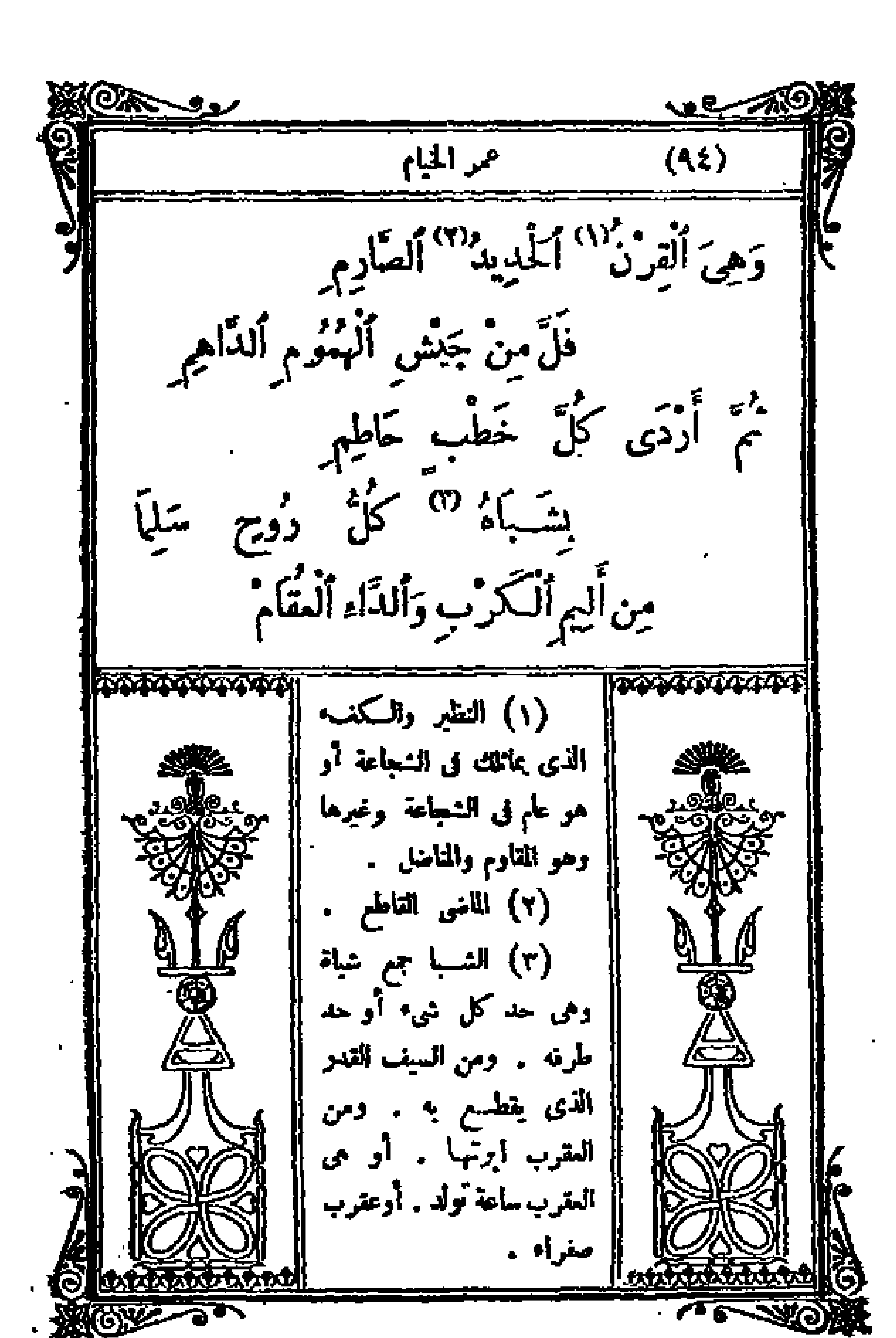
(١) البلسم دواء تضمد به الجراحات . والبلسم المكى سائل عطرى يخرج من شجر باليمن وحول مكة .

(٢) سمط اللآلئ .

يقول : الخمرة هى الفارس البطل الذى يهزم جيش الهم ويصرع الخطب المدلهم . وهى بلسم جراح الاحزان وهى الكيمياء التى بقوتها يستحيل رصاص العيش ذهبا وحصاه لؤلؤا . وهذا شبيه بكيمياء الحظ التى وصفها ابن الرومى فقال :

ان الحظ كيمياء اذا ما

مس كلباً أحاله انسانا



وَهِيَ ٱلْقِرْنُ(١) ٱلْحَدِيدُ(٢) ٱلصَّارِمِ

فَلَّ مِنْ جَيْشِ ٱلْهُمُومِ ٱلدَّاهِمِ

ثُمَّ أَرْدَى كُلَّ خَطْبٍ حَاطِمِ

بِشَبَاهُ(٣) كُلُّ رُوحٍ سَلِمَا

مِنْ أَلِيمِ ٱلْكَرْبِ وَٱلدَّاءِ ٱلْعُقَامْ

(١) النظير والكفء الذي يماثلك في الشجاعة أو هو عام في الشجاعة وغيرها وهو المقاوم والمناضل .

(٢) الماضي القاطع .

(٣) الشبا جمع شباة وهي حد كل شيء أو حد طرفه . ومن السيف القدر الذي يقطع به . ومن العقرب إبرتها . أو هي العقرب ساعة تولد . أوعقرب صفراء .

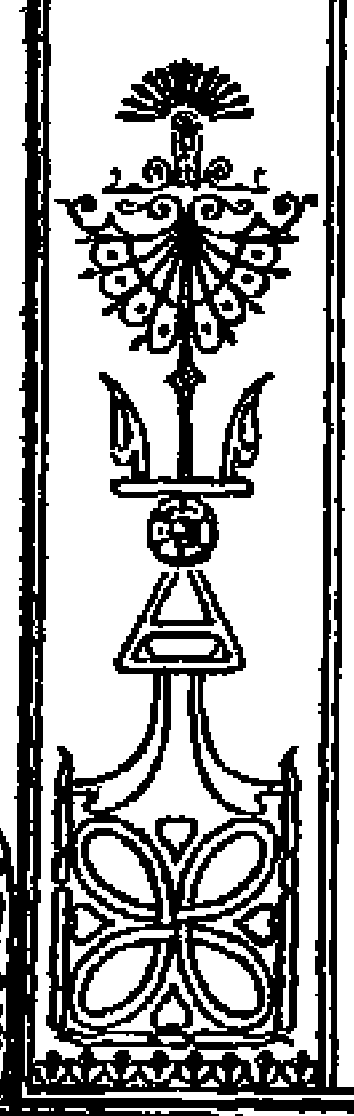
مَنْ عَذِيرِي مِنْ عَذُولٍ قَدْ نَهَاكَا

عَنْ شِبَاكِ[1] ٱلْكَرْمِ يَدْعُوهَا شِبَاكَا[2]

إِنَّمَا ٱلْكَرْمُ بَرَاهَا مَنْ بَرَاكَا

نِعْمَةً جُلَّى ، وَإِلَّا فَلِمَا

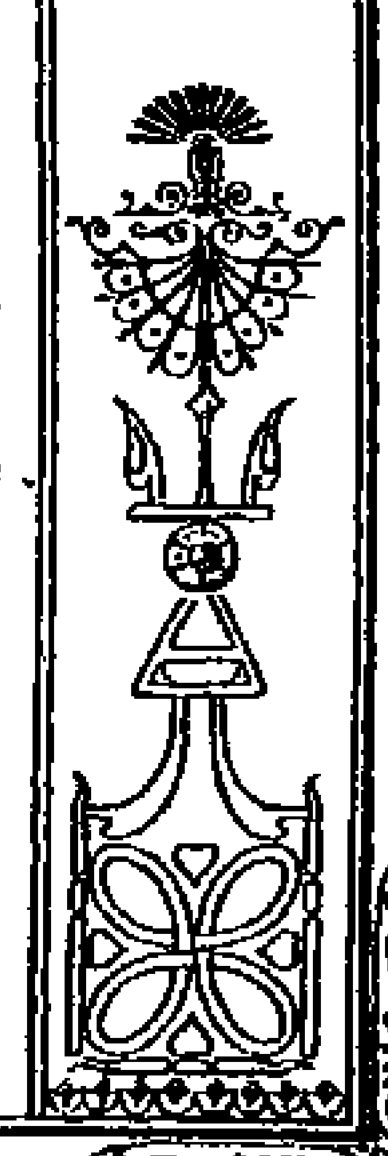
خَلَقَ ٱلْعُنْقُودَ خَلَّاقُ ٱلْأَنَامْ



(١) المراد بشباك الكرم عروشه التى ينمو عليها ويتعلق بها وذلك انها مثل الشباك (جمع شبكة) لما يشبك فيها من أعواد الخشب

(٢) الشباك جمع شبكة وهى شركة الصياد فى الماء والبر .

المعنى : من مجيرى من العاذل فى الخمر الذى يسمى عروشها المشتبكة شباكا للآثام والمعاصى واشراكا للخبائث والرذائل ألا فقل لمثل هذا العاذل لا تطعن على الخمر فان خالقها هو الذى خلقك .





كَيْفَ هَجْرِي مِنْ شَرَابِي بَلْسَمَا
لِعَذَابٍ فِي جَحِيمٍ أُضْرِمَا
أَوْ ثَوَابٍ فِي نَعِيمٍ ، بَعْدَ مَا
جَامِيَ ٱلْوَاهِنُ يَبْلَى رِمَمَا (١)
فِي تُرَابِ ٱلْقَبْرِ مَوْطُوءَ ٱلْحُطَامِ (٢) ٥

(١) يقال ثوب رمم أى بال . والرمم أيضاً جمع رمة وهى ما بلى من العظام .

(٢) الحطام الهشيم وما تكسر من اليبس ، وما تحطم من الشىء المحطوم .

المعنى : كيف أهجر الخمر التى هى بلسم جراحى مخافة النار أو رجاء الجنة — ولست واقعاً فى أيهما بعد الممات — وبعد ما يبلى جامى (أى جسمى) فى تراب القبر مدوساً بالأقدام .



نَبِّئَانِي ، إِنْ غَدَا أَهْلُ الْجِنَانْ

زُمْرَةَ النُّسَّاكِ ، أَعْدَاءَ الدِّنَانْ

وَالْأَغَانِي ، أَيُّ خَيْرٍ تَبْغِيَانْ

بَعْدَ ذَا فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ وَمَا

ضُمِّنَتْ ، لَا حَبَّذَا فِيهَا الْمُقَامْ (١)

(١) المعنى : خبرانى اذا أصبح أهل الجنة هم جماعة النساك المتعبدين أعداء الاغانى وبنت الحان فكانت الجنة تبعاً لمذهب سكانها وميلهم خلوا من هذه اللذائذ . فما ترجوان بعد ذلك فى الجنة — بئست الجنة ان كان هذا شأنها ولاحبذا المقام فيها .



هَالَنِي أَنْ لَا أَرَى مِمَّنْ عَرَا (١)

مَنْهَجَ الْمَوْتِ الْمَخُوفَ الْمُنْكَرَا

عَائِدًا يَرْوِي لَنَا مَا أَنْصَرَا

فِي طَرِيقٍ مُظْلِمٍ لَنْ يَعْلَمَا

مَا حَوَاهُ غَيْرُ وَرَّادِ (٢) الْحِمَامْ

(١) عراه يعروه ويعريه غشيه .

(٢) الوراد صيغة مبالغة من وارد وهو الذي يرد الماء لينهل منه . ورّاد الحمام هو الذي يرد منهل الموت الذي لا يصدر عنه صادر . قالت الخنساء ترثي صخراً :

يا صخر وراد ماء قد تناذره
أهل المياه وما في ورده عار

عَجَبًا لِلرُّوحِ ! – إِنْ كَانَ يُطِيقْ
نَضْوَ سِرْبَالٍ[1] مِنَ الطِّينِ صَفِيقْ .
وَسُمُوًّا لِمَدَى النَّجْمِ السَّحِيقْ
مَا لَهُ ، تَبًّا لَهُ ، قَدْ لَزِمَا
سِجْنَهُ السُّفْلِيّ[2] ، مَذْمُومَ اللِّزَامْ .

(١) المراد بسربال من الطين هنا جسم الانسان الذى كأنه ثوب ترتديه الروح وتشتمل به (٢) والمراد بسجنه السفلى أيضاً هذا الجسم . فانه للروح كالسجن يحبسها ويمنعها حرية الانطلاق فى ملكوت السموات حيث تلابس الملائكة وأهل العوالم العلوية وحيث يتجلى لها ذات الحق المقدسة . ومكان هذه العوالم العلوية هو كما يزعم بعض علماء الكلام هو فى عالم الافلاك — ومن ثم قال عمر الخيام فى هذه الرباعية « سموا لمدى النجم السحيق » يقصد بذلك الملكوت الاعلى حيث النعيم السرمدى ومقام الارواح الطاهرة المقدسة .

المعنى : يقول اذا كان فى استطاعة الروح أن يتخلص من هذا الجسد الخبيث الدنس ويخلع هذا السربال المصنوع من الطين أى الحمأ المسنون وكان فى استطاعته أيضاً أن يسمو الى مدى النجوم السحيقة حيث ملكوت الله الاعلى ومقام أرواح الابرار فى نعيم الخلد — اذا كان الروح يستطيع كل ذلك فماله — تبا له وسحقا — قد لزم هذا

السجن السفلى . أى هذا الجسد السفلى الخبيث الجوهر الكثير العنصر

الخيام فى هذا يجرى على مذهب العديدين من فلاسفة العصور الوسطى والقديمة . قال ارسطاطاليس فى كتاب الثالوجيائية الرمزانى « ربما خلوت بنفسى وخلعت بدنى وصرت كأنى جوهر مجرد بلا بدن فأكون داخلا فى ذاتى خارجا عن جميع الاشياء فأرى فى ذاتى من الحسن والبهاء ما أبقى له متعجباً مبهوتاً فأعلم انى جزء من أجزاء العالم الاعلى الشريف الفاضل » .

وقال فيثاغورس فى الوصية الذهبية : « اذا فعلت ما قلت لك يا ديوجانس وفارقت هذا البدن أصبحت سابحاً فى عوالم الفلك غير عائد الى الانسانية ولا قابلا للموت » .

ويحكى فى الحكمة القديمة انه من قدر على خلع جسده ورفض حواسه وتسكين وساوسه وصعد الى الفلك جوزى هناك بأحسن الجزاء . ويقال ان بطليموس كان يعشق علم النجوم وجعل الهندسة سلماً صعد به الى الفلك فمسح الافلاك وأبعادها والكواكب وأحجامها ثم دونه فى المجسطى . وانما كان ذلك الصعود بالنفس لا بالجسد

ويحكى عن هرمس (وهو فيما يزعم ادريس النبى) انه صعد الى فلك زحل ودار معه ثلاثين سنة حتى شاهد جميع أحوال الفلك ثم نزل الى الارض فخبر الناس بعلم النجوم — قال الله تعالى : ورفعناه مكانا عليا .

وقال المسيح عليه السلام للحواريين فى وصية له : اذا فارقت هذا الهيكل فأنا واقف عن يمنة عرش ربى وأنا معكم حيثما ذهبتم فلا تخالفونى حتى تكونوا معى فى عالم السماء غدا .

ومن مأثور قول الحكماء ان العاقل الفهم اذا نظر فى علم النجوم وفكر فى سعة هذه الافلاك وعظم هذه الكواكب وعجيب حركاتها وغريب صفاتها اشتاقت نفسه الصعود الى الفلك والنظر الى محتوياته معاينة ولكن ذلك لا يمكنه مادامت الروح متعلقة بهذا البدن الكثيف مثقلة بادرانه ودناساته فاذا فارقته — وكانت نزيهة طاهرة نقية صعدت الى الفلك فى طرفة عين لايحول دونها زمان ولا مكان — لان كونها حيث تكون همتها وبغيتها كما تكون نفس العاشق حيث معشوقه . فاذا كانت منيتها وهواها هو الكون مع هذا الجسد ومعشوقها هذه اللذات المحسوسة الجرمانية ومرادها هذه الزينة الجسمانية فهى لا تبرح من ههنا ولا تشتاق الصعود الى عالم الافلاك ولا تفتح لها أبواب السموات ولا تدخل الجنة مع زمر الملائكة بل تبقى تحت فلك القمر سابحة فى قعر هذه الاجسام المستحيلة المتضادة . تارة من الكون الى الفساد وتارة من الفساد الى الكون — كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب لابثين فيها أحقابا مادامت السموات والارض لايذوقون فيها برد عالم الارواح الذى هو الروح والريحان . ويروى عن رسول الله انه قال : الجنة فى السماء والنار فى الارض .

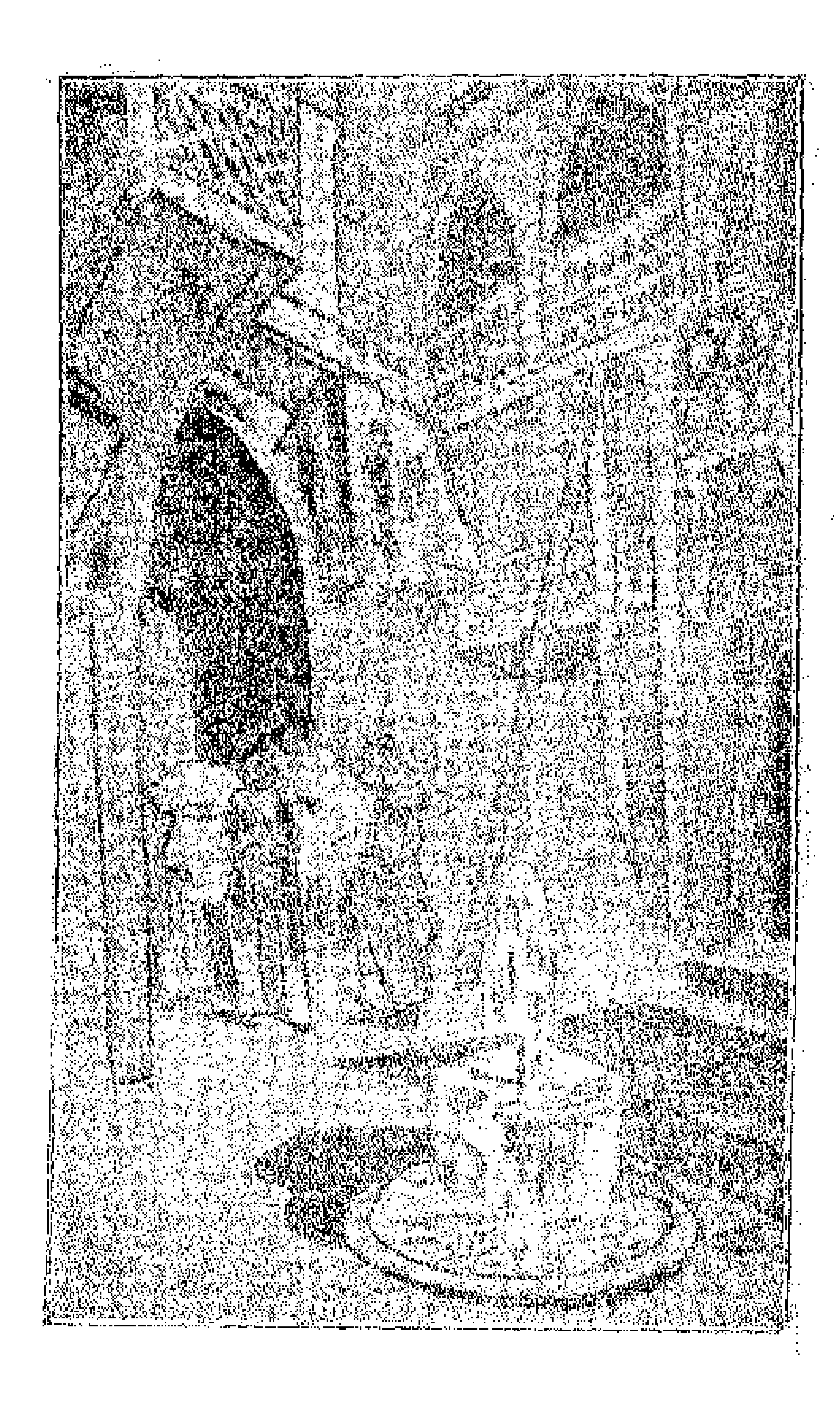
والى هذه المعانى كان ينظر ابن الرومى حينما قال يرثى امه ويصف صعود روحها بعدفراق الجسد الى الفلك حيث أخذت مكانها بين الكواكب

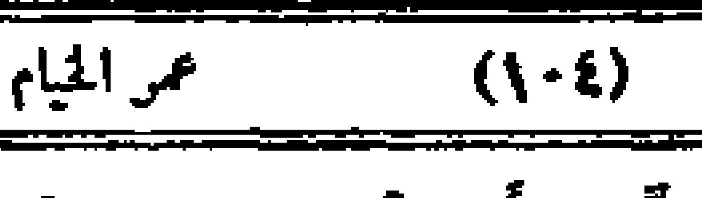
تأمل خليلى فى الكواكب كوكبا ترفع كالمصباح فى ذروة العلم
ولم يره الراؤن من قبل موتها بحيث بدا لا العربون ولا العجم
وهل كان الا كوكبا كان بيننا فودعنا . جادت معاهده الرهم
رأى المسكن العلوى أولى بمثله فبان وأضحى بين أشكاله نجم



غَيْرَ أَنِّي لَا أَرَى ٱلْجِسْمَ سِوَى
نُزُلٍ أَفْضَى إِلَيْهِ فَثَوَى
مَلَكٌ أَزْمَعَ لِلْمَوْتِ نَوَى
ثُمَّ أَرْدَاهُ غَشُومٌ دَهَمَا
وَلِضَيْفٍ آخَرٍ أَخْلَى ٱلْمُقَامْ (١)

(١) المعنى :—
لا أرى الجسم الا بيتاً أبديا سرمديا — لا يزال ينتقل عنه ساكن ويحل فيه آخر — ينسلخ منه روح ويهبط فيه روح — فهو المسكن الابدى للارواح المتنقلة وعلى باب هذا المسكن يقوم ملك الموت يشيع الساكن الراحل ويرحب بالضيف القادم .





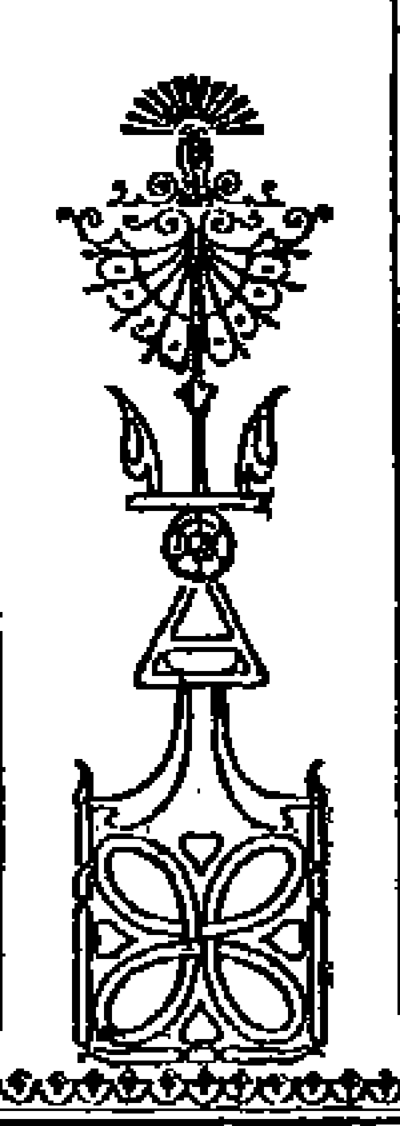
إِنِّي أَرْسَلْتُ رُوحِي آنِفَا

فِي دَيَاجِي ٱلْغَيْبِ كَيْمَا أَكْشِفَا

غَامِضًا مِنْ عَالَمِ ٱلْخُلْدِ ٱخْتَفَى

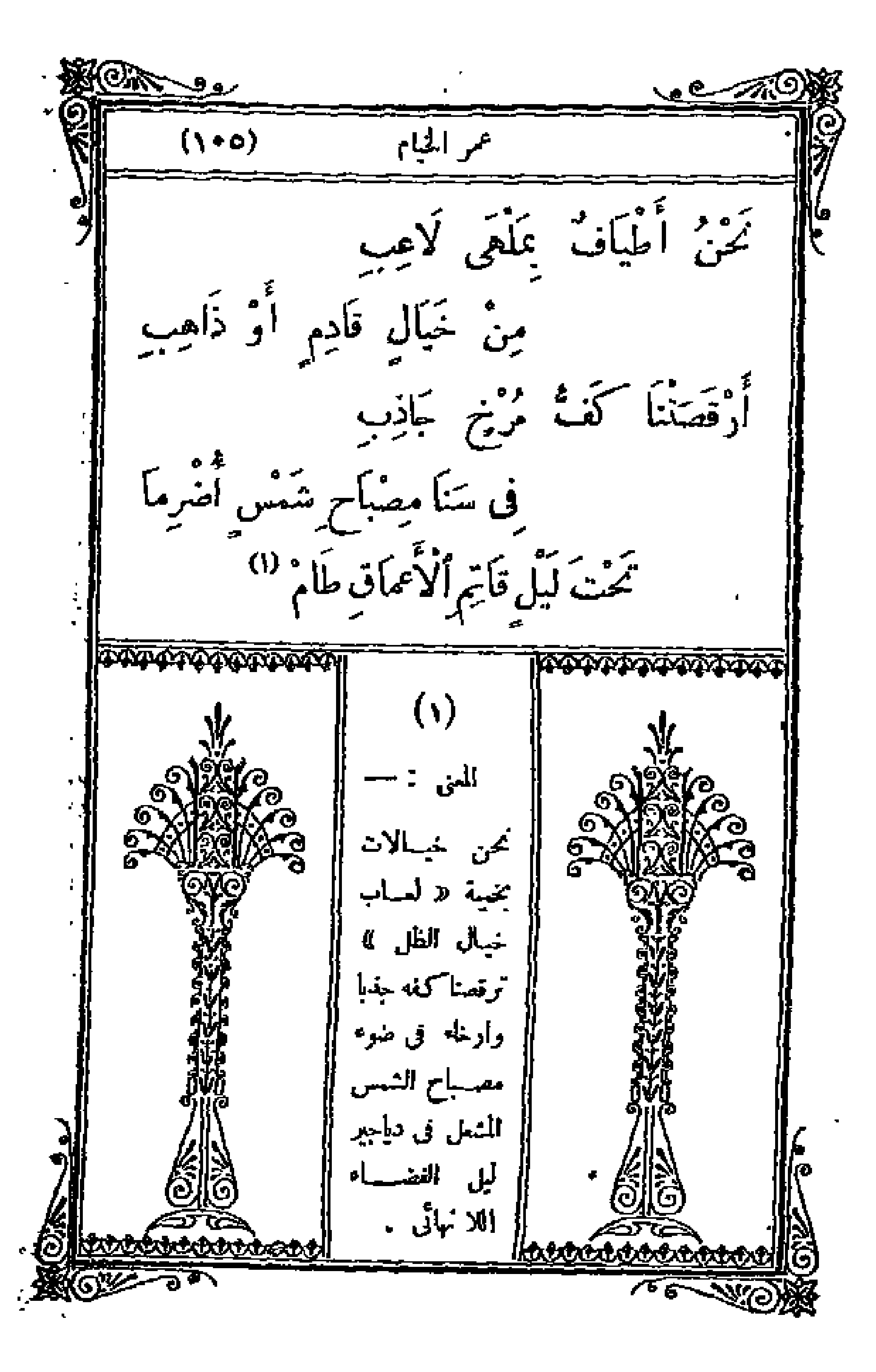
فَأَتَتْنِي رُوحِي وَنَبَّا إِنَّمَا

أَنَا فِرْدَوْسُ صَفَاءٍ، نَارُ ٱنْتِقَامْ (١)



(١) انني بعثت روحي في ظلمات الغيب ليستكشف ما وراء القبر مما يسمونه النار والجنة — فعاد لي روحي بعد مدة يقول: ليس ثمت جنة ولا نار — أنا نفسي النار والجنة — أكون فردوساً للضمير الآمن المطمئن المنعم بلذة الصفاء وجحيما متقداً معذباً للضمير الاثيم المذنب.



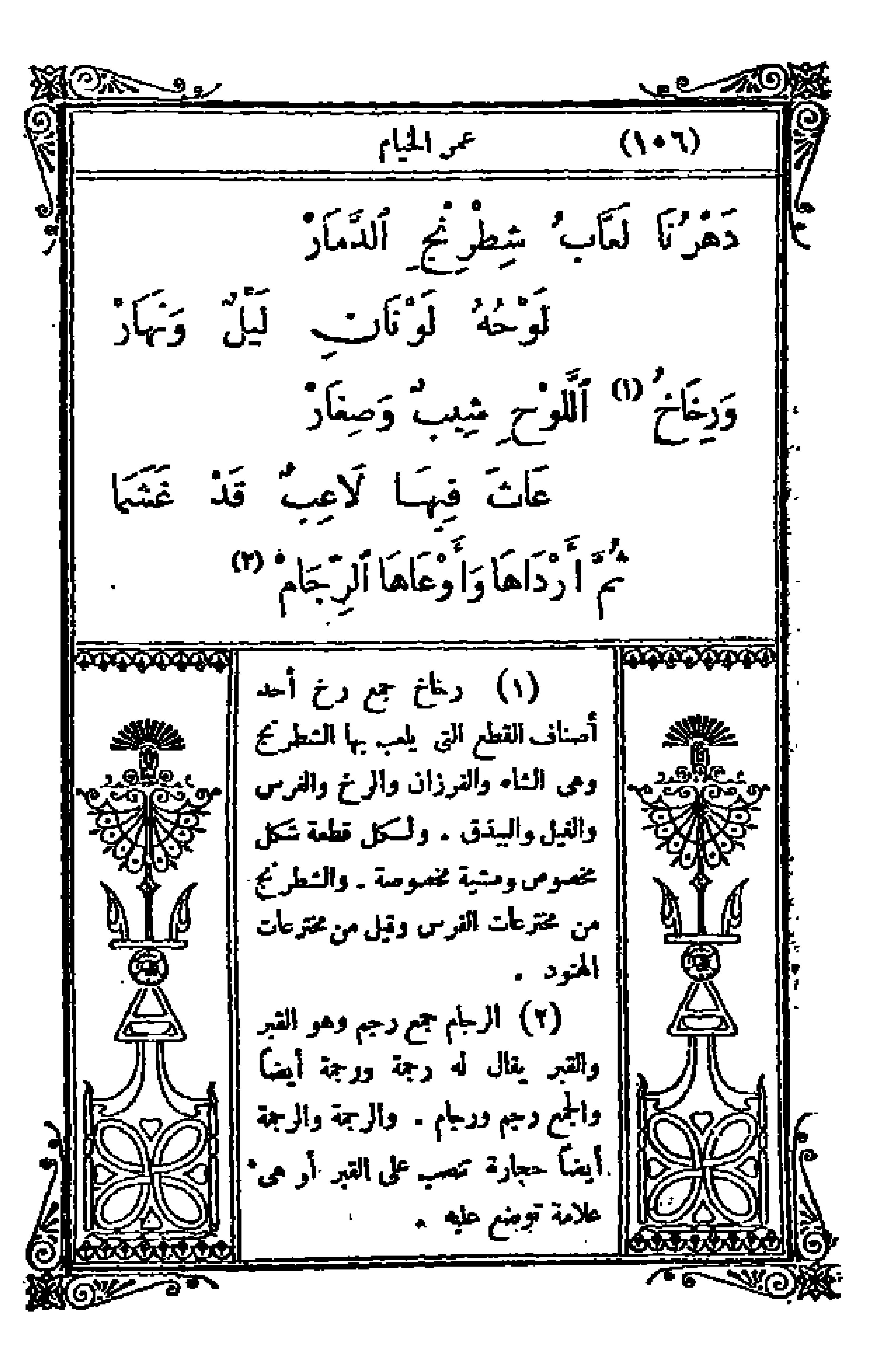


نَحْنُ أَطْيَافٌ بِمَلْهَى لَاعِبِ
مِنْ خَيَالٍ قَادِمٍ أَوْ ذَاهِبِ
أَرْقَصَتْنَا كَفُّ مَرْخٍ جَاذِبِ
فِي سَنَا مِصْبَاحِ شَمْسٍ أُضْرِمَا
تَحْتَ لَيْلٍ قَاتِمِ الأَعْمَاقِ طَامْ (١)

(١)

المعنى : —

نحن خيالات بجنية « لعاب خيال الظل » ترقصنا كفه جذبا وارخاء فى ضوء مصباح الشمس المشعل فى دياجير ليل الفضاء اللا نهائى .



دَهْرُنَا لَعَّابُ شِطْرَنْجِ ٱلدَّمَارْ

لَوْحُهُ لَوْنَانِ لَيْلٌ وَنَهَارْ

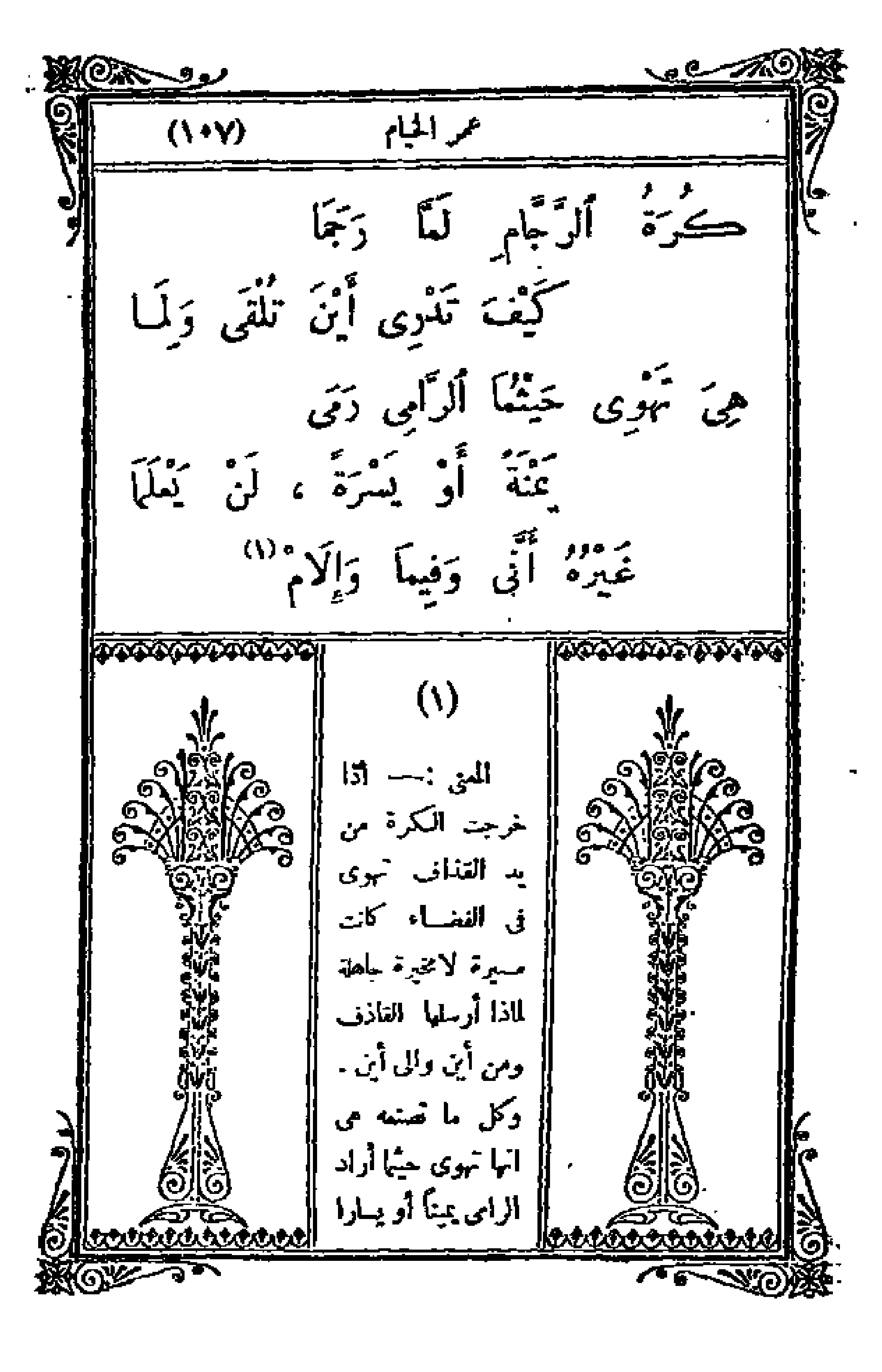
وَرِخَاخٌ (١) ٱللَّوْحِ شِيبٌ وَصِغَارْ

عَاثَ فِيهَا لَاعِبٌ قَدْ غَشَمَا

ثُمَّ أَرْدَاهَا وَأَوْعَاهَا ٱلرِّجَامْ (٢)

(١) رخاخ جمع رخ أحد أصناف القطع التي يلعب بها الشطرنج وهي الشاه والفرزان والرخ والفرس والفيل والبيذق . ولكل قطعة شكل مخصوص ومشية مخصوصة . والشطرنج من مخترعات الفرس وقيل من مخترعات الهنود .

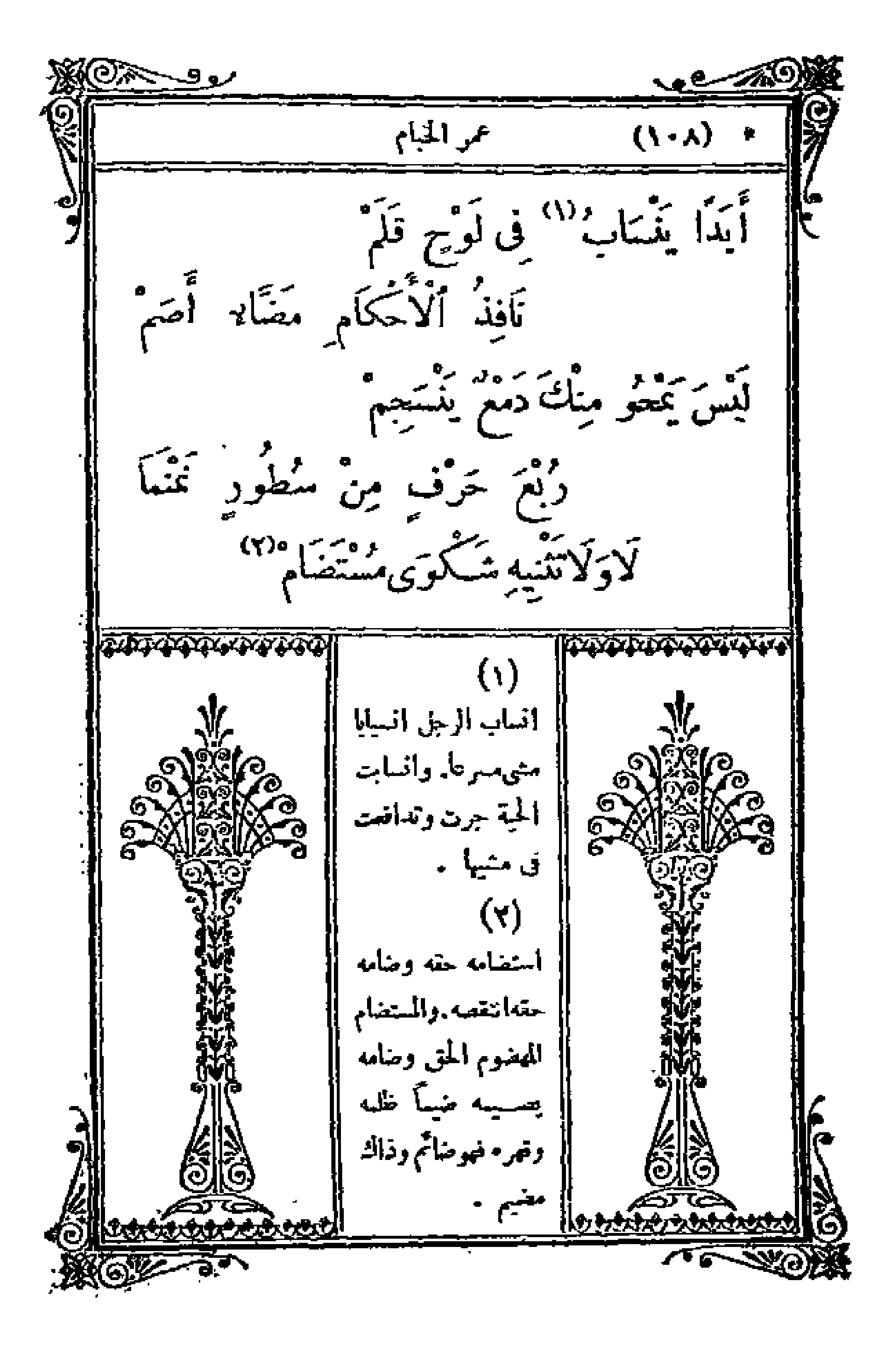
(٢) الرجام جمع رجم وهو القبر والقبر يقال له رجمة ورجمة أيضاً والجمع رجم ورجام . والرجمة والرجمة أيضاً حجارة تنصب على القبر أو هي علامة توضع عليه .



كُرَةُ ٱلرَّجَّامِ لَمَّا رَجَمَا
كَيْفَ تَدْرِي أَيْنَ تُلْقَى وَلِمَا
هِيَ تَهْوِي حَيْثُمَا ٱلرَّامِي رَمَى
يَمْنَةً أَوْ يَسْرَةً ، لَنْ يَعْلَمَا
غَيْرُهُ أَنَّى وَفِيمَا وَإِلَامْ (١)

(١)

المعنى :— اذا خرجت الكرة من يد القذاف تهوى فى الفضاء كانت مسيرة لامخيرة جاهلة لماذا أرسلها القاذف ومن أين والى أين . وكل ما تعلمه هى انها تهوى حيثما أراد الرامى يمينا أو يسارا



أَبَدًا يَنْسَابُ[1] فِى لَوْحٍ قَلَمْ

نَافِذُ الْأَحْكَامِ مَضَّاءٌ أَصَمْ

لَيْسَ يَمْحُو مِنْكَ دَمْعٌ يَنْسَجِمْ

رُبْعَ حَرْفٍ مِنْ سُطُورٍ نَمْنَمَا

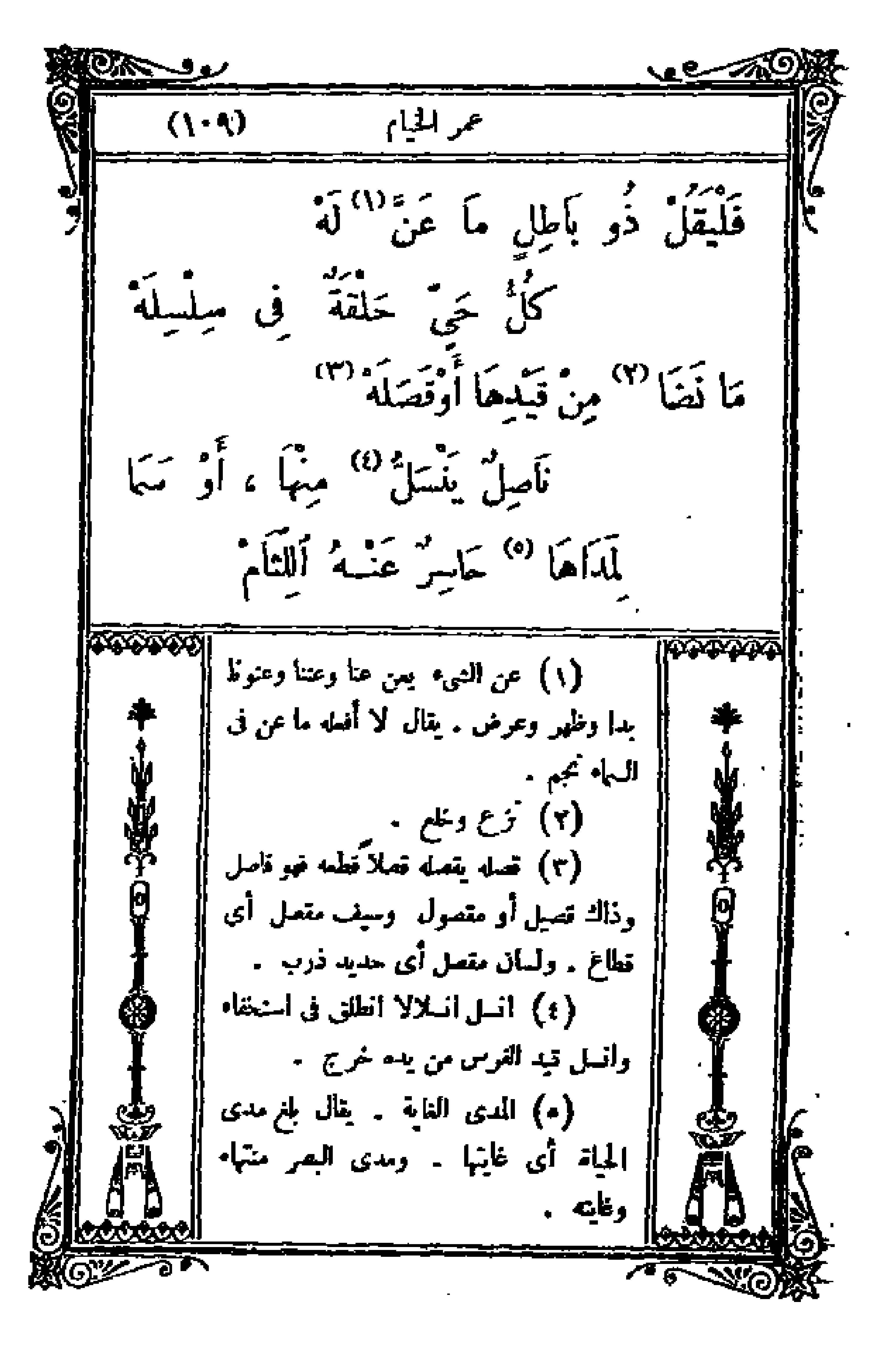
لَا وَلَا تَثْنِيهِ شَكْوَى مُسْتَضَامْ[2].

(١)

انساب الرجل انسيابا مشى مسرعا. وانسابت الحية جرت وتدافعت فى مشيها .

(٢)

استضامه حقه وضامه حقه انتقصه. والمستضام المهضوم الحق وضامه يضيمه ضيماً ظلمه وقهره فهو ضائم وذاك مضيم .



فَلْيَقُلْ ذُو بَاطِلٍ مَا عَنَّ (١) لَهْ
كُلُّ حَيٍّ حَلْقَةٌ فِي سِلْسِلَهْ
مَا نَضَا (٢) مِنْ قَيْدِهَا أَوْ فَصَلَهْ (٣)
نَاصِلٌ يَنْسَلُّ (٤) مِنْهَا ، أَوْ سَمَا
لِمَدَاهَا (٥) حَائِرٌ عَنْهُ ٱللِّثَامْ

(١) عن الشيء يعن عنا وعننا وعنونا بدا وظهر وعرض . يقال لا أفعله ما عن فى السماء نجم .

(٢) نزع وخلع .

(٣) فصله يفصله فصلاً قطعه فهو فاصل وذاك فصيل أو مفصول وسيف مفصل أى قطاع . ولسان مفصل أى حديد ذرب .

(٤) انسل انسلالا انطلق فى استخفاء وانسل قيد الفرس من يده خرج .

(٥) المدى الغاية . يقال بلغ مدى الحياة أى غايتها . ومدى البصر منتهاه وغايته .



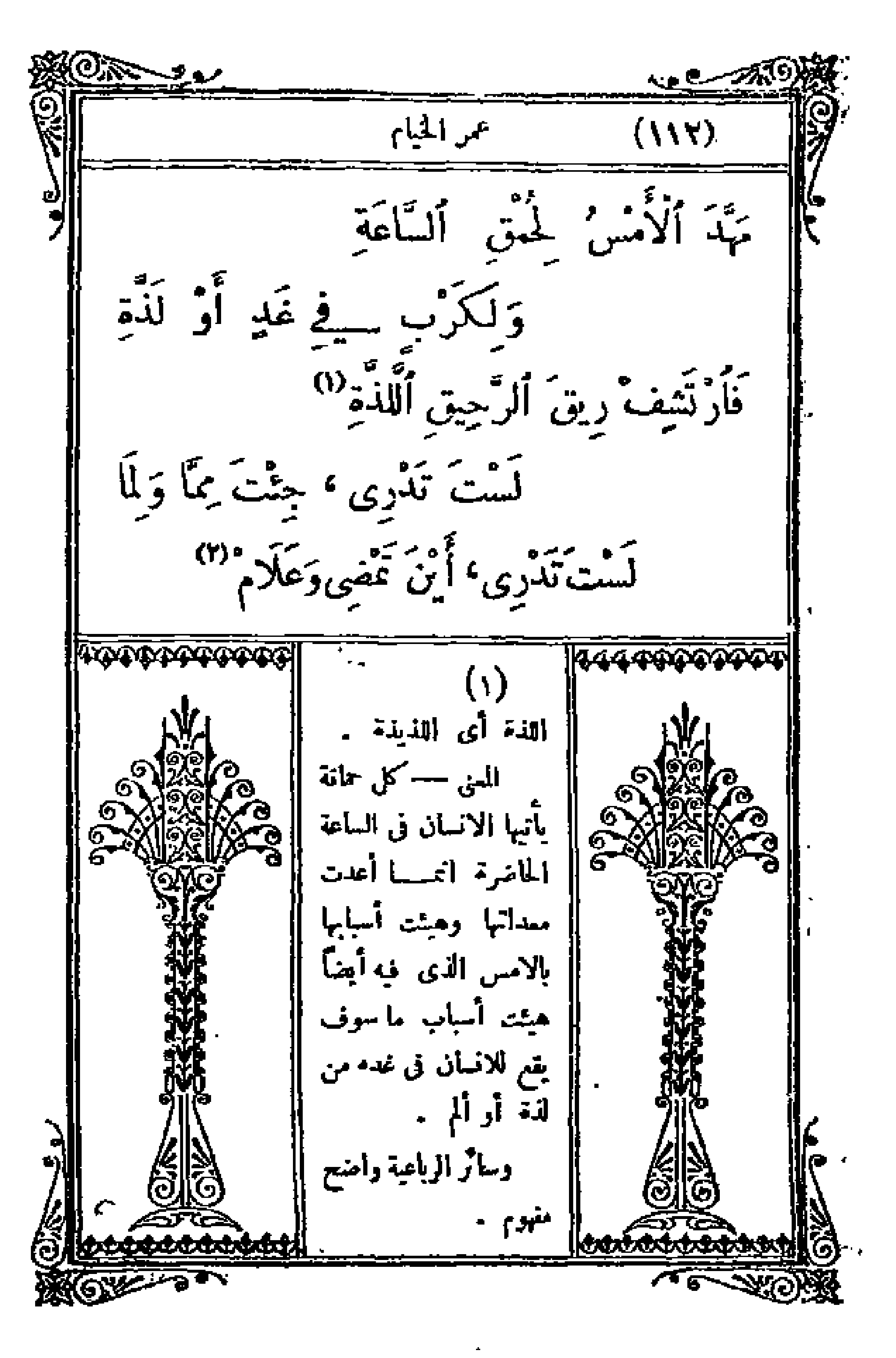
وَأَرَى مَقْلُوبَ جَامٍ خَيَّمَا
أَزْرَقًا مِنْ حَوْلِنَا وَٱسْتَحْكَمَا
وَدَعَاهُ ٱلْخَلْقُ إِجْلَالًا «سَمَا»
عَاجِزًا مِثْلِي يُزَجَّى مُرْغَمَا
كَيْفَ يُسْتَعْدَى عَلَى ٱلْخَطْبِ ٱلْجُسَامِ (١)

(١) المعنى — هذا الصحن الازرق المكفأ فوق رؤوس العباد المخيم عليهم مستحكما حولهم — الذي يدعونه سما اجلالا واعظاما — هذا الصحن الازرق أي هذه السماء بما فيها من الافلاك عاجزة — مثلي ومثلك تدار مرغمة مضطرة وتساق بما فيها من الاجرام مقسورة مكرهة — فكيف تستعديها على الكرب العظام وتستنجدها على النوب الجسام ؟



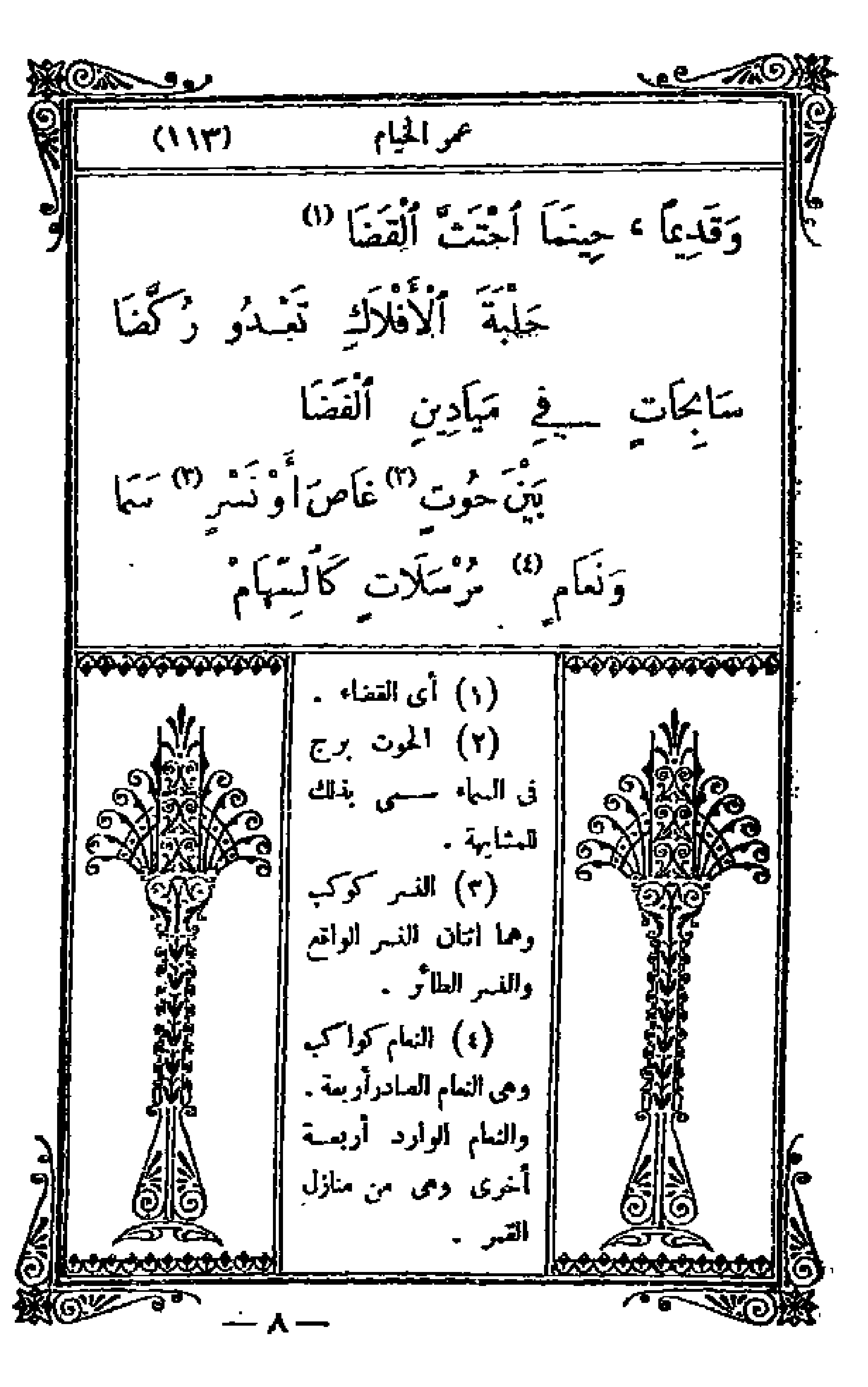
يَوْمَ بَدْءِ ٱلْخَلْقِ أَنْشَا ٱلصَّانِعُ
آخِرَ ٱلنَّاسِ ، وَأَلْقَى ٱلزَّارِعُ
بِذْرَةً يَبْدُو جَنَاهَا ٱلْيَانِعُ
آخِرَ ٱلدَّهْرِ ، وَمَا قَدْ رُقِمَا
مَبْدَأً يَتْلَى حِسَابًا فِي ٱلْخِتَامْ(١)

(١) كل شيء مقدر أزلا بقضاء سابق — حتى أن آخر انسان يأتي في الدنيا قد سبق خلقه وتكوينه يوم بدء الخليقة وآخر عمل يحدث في الدنيا انما هو ثمرة بذرة غرست يوم بدء الخليقة أيضا والذي دون في البداية يتلى حسابا في النهاية



مَهَّدَ ٱلأَمْسُ لِحُمْقِ ٱلسَّاعَةِ
وَلِكَرْبٍ فِي غَدٍ أَوْ لَذَّةِ
فَٱرْتَشِفْ رِيقَ ٱلرَّحِيقِ ٱللَّذَّةِ[1]
لَسْتَ تَدْرِي ، جِئْتَ مِمَّا وَلِمَا
لَسْتَ تَدْرِي ، أَيْنَ تَمْضِي وَعَلَامْ .[2]

(١)
اللذة أى اللذيذة .
المعنى — كل حماقة يأتيها الانسان فى الساعة الحاضرة انما أعدت معداتها وهيئت أسبابها بالامس الذى فيه أيضاً هيئت أسباب ما سوف يقع للانسان فى غده من لذة أو ألم .
وسائر الرباعية واضح مفهوم .



وَقَدِيمًا ، حِينَمَا أُجْنَتْ ٱلْقَضَا (١)

جِلْبَةَ ٱلْأَفْلَاكِ تَغْدُو رُكَّضَا

سَابِحَاتٍ فِي مَيَادِينِ ٱلْفَضَا

بَيْنَ حُوتٍ (٢) غَاصَ أَوْ نَسْرٍ (٣) سَمَا

وَنَعَامٍ (٤) مُرْسَلَاتٍ كَٱلسِّهَامْ

(١) أي القضاء .

(٢) الحوت برج في السماء سمي بذلك للمشابهة .

(٣) النسر كوكب وهما اثنان النسر الواقع والنسر الطائر .

(٤) النعام كواكب وهي النعام الصادر أربعة . والنعام الوارد أربعة أخرى وهي من منازل القمر .

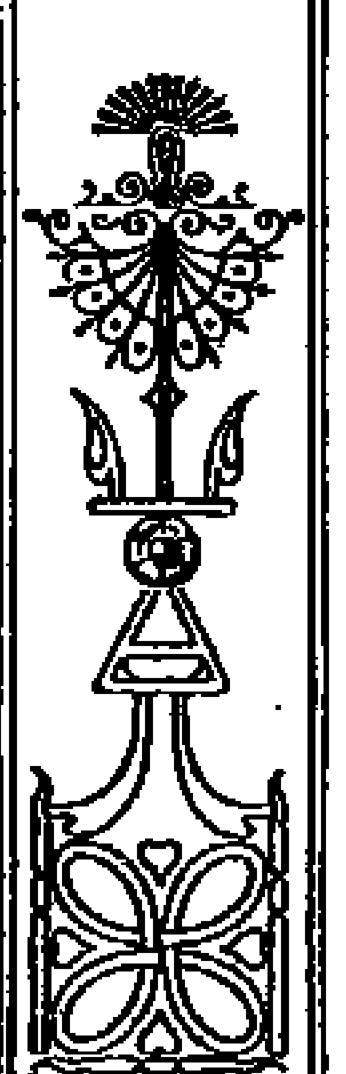
حِينَذَيَّاكَ ، سَرَتْ مِنْ كَرْمَةٍ

وَاشِجَاتٌ[١] نَشِبَتْ[٢] فِي طِينَتِي

قَبْلَمَا تُبْدَعَ مِنْهَا صُورَتِي

فَرَوَتْ مِنْ تُرْبَتِي حَرَّ الظَّمَا

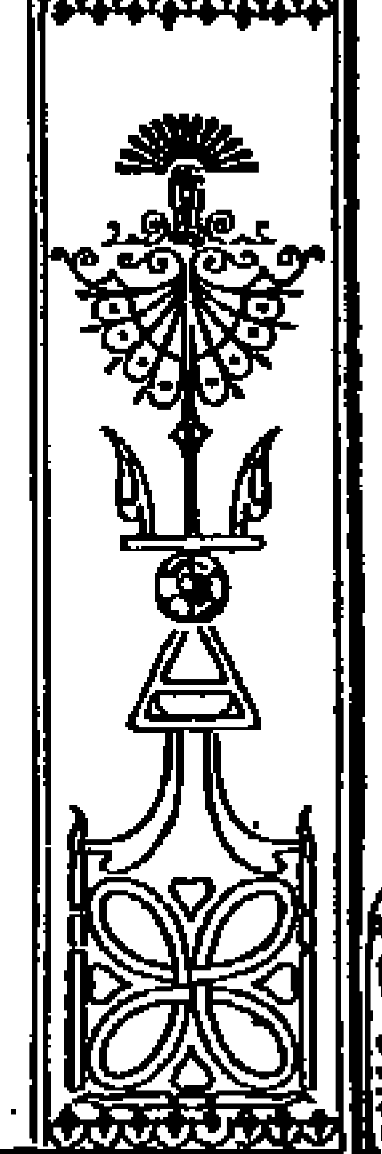
قَبْلَمَا يُرْوَى مِنَ الْخَمْرِ نِدَامْ[٣]

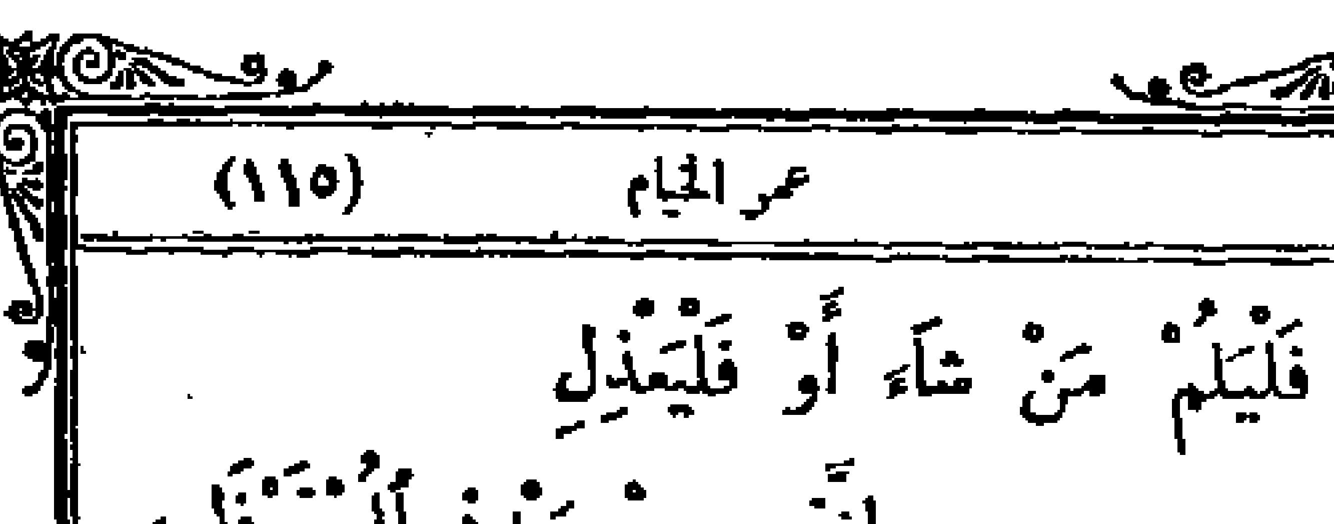


(١) عروق واشجات أى مشتبكة ملتف بعضها على بعض . ويقال وشجت بك قرابته أى اشتبكت والواشجة الرحم المشتبكة . يقال بينهم واشجة .

(٢) نشب الشيء فى الشيء نشباً ونشوبا ونشبة علق . والعظم فى حلقه لم ينفذ . والحرب بين القوم ثارت . ونشب فلان منشب سوء وقع فيما لا مخلص منه .

(٣) الندام والندامى والندمان جمع نديم . والندام هنا خلاف الندام المصدر الذى هو بمعنى المنادمة .





فَلْيَلُمْ مَنْ شَاءَ أَوْ فَلْيَعْذِلِ

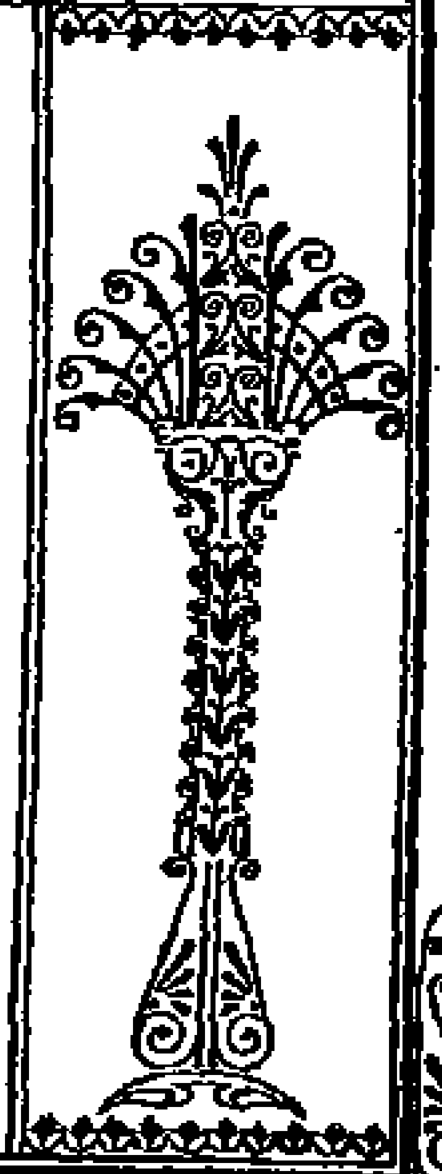
إِنَّنِي، مِنْ مَعْدِنِ الْمُسْتَرْذَلِ،

صُغْتُ مِفْتَاحًا لِبَابٍ مُقْفَلِ

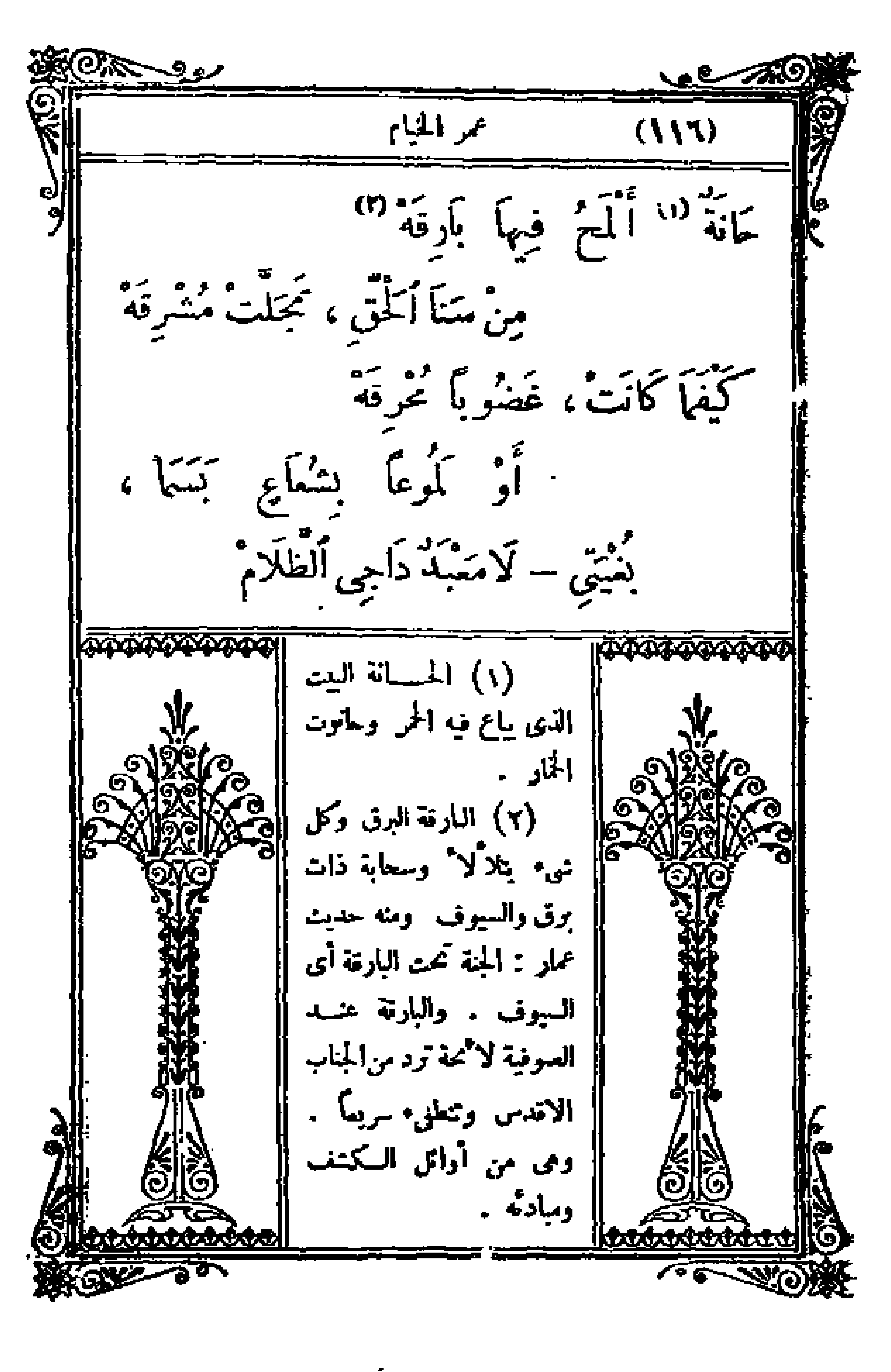
خَلْفَهُ مَأْمُولُ كَنْزٍ طَالَمَا

دَامَ مِنْهُ النُّسْكُ حِصْنًا لَا يُرَامْ (١)





(١) المعنى : لقد صغت من معدني المسترذل (يريد الخمر. لأن الناس يسترذلونها ويلحونه فيها) مفتاحا لباب الغيب المقفل المفضى الى كنز الحقيقة المأمول : يزعم ان ما تحدثه الخمرة فيه من النشوة هو السبيل الوحيد المفضى من أسرار الغيب الى ذلك الكنز الثمين كنز الحقيقة الذي يعجز عن فتحه الصوفيون بكل مالديهم من مفاتيح النسك والعبادة .



حَانَةٌ(١) أَلمَحُ فِيهَا بَارِقَهْ(٢)

مِنْ سَنَا الْحَقِّ، تَجَلَّتْ مُشْرِقَهْ

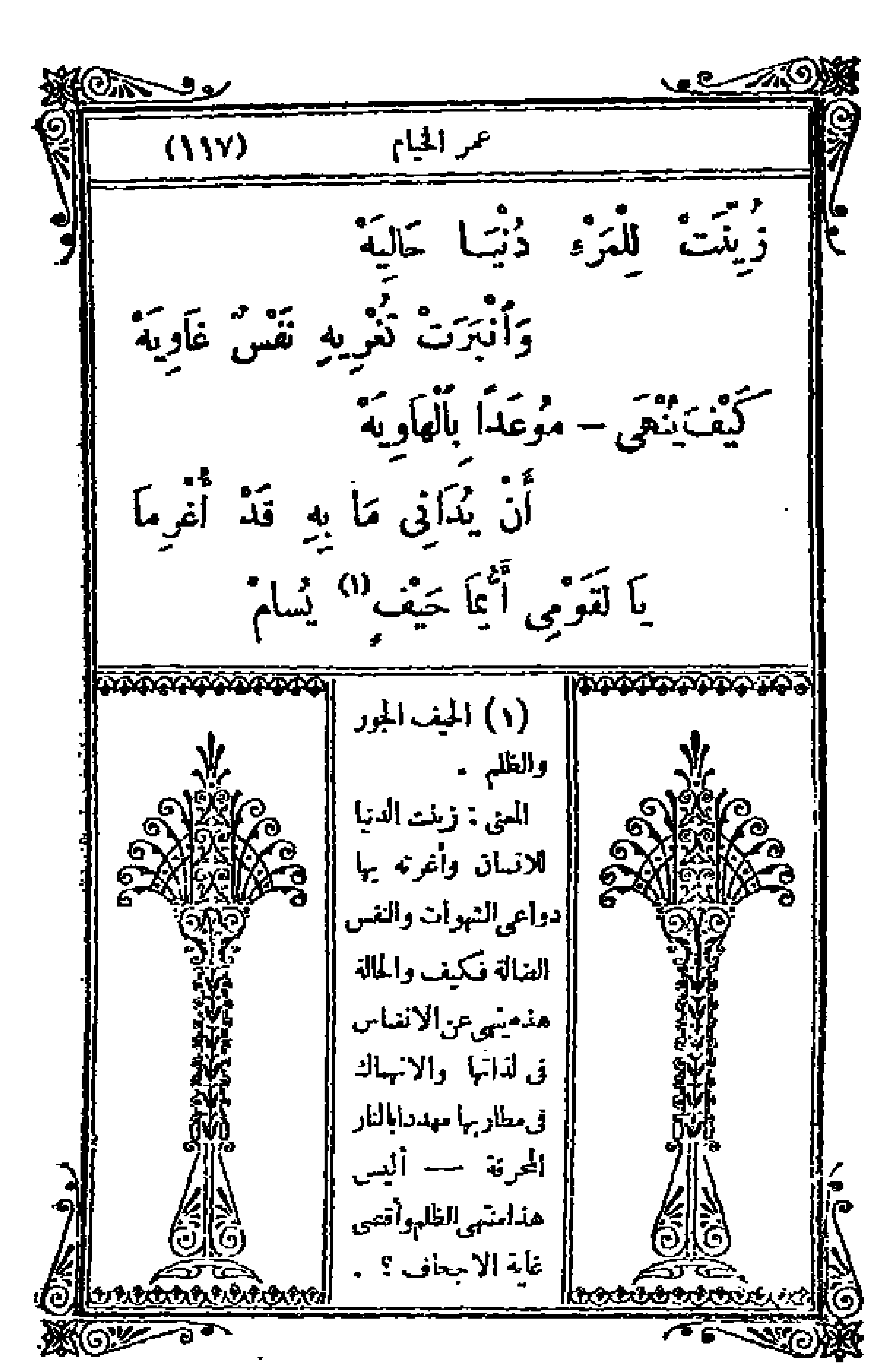
كَيْفَمَا كَانَتْ، غَضُوباً مُحْرِقَهْ

أَوْ لَمُوعاً بِشُعَاعٍ بَسَمَا،

بُغْيَتِي — لَا مَعْبَدٌ دَاجِي الظَّلَامْ

(١) الحانة البيت الذى يباع فيه الخمر وحانوت الخمار .

(٢) البارقة البرق وكل شيء يتلألأ وسحابة ذات برق والسيوف ومنه حديث عمار : الجنة تحت البارقة أى السيوف . والبارقة عند الصوفية لائحة ترد من الجناب الاقدس وتنطفيء سريعاً . وهى من أوائل الكشف ومبادئه .



زُيِّنَتْ لِلْمَرْءِ دُنْيَا حَالِيَهْ

وَأَنْبَرَتْ تُغْرِيهِ نَفْسٌ غَاوِيَهْ

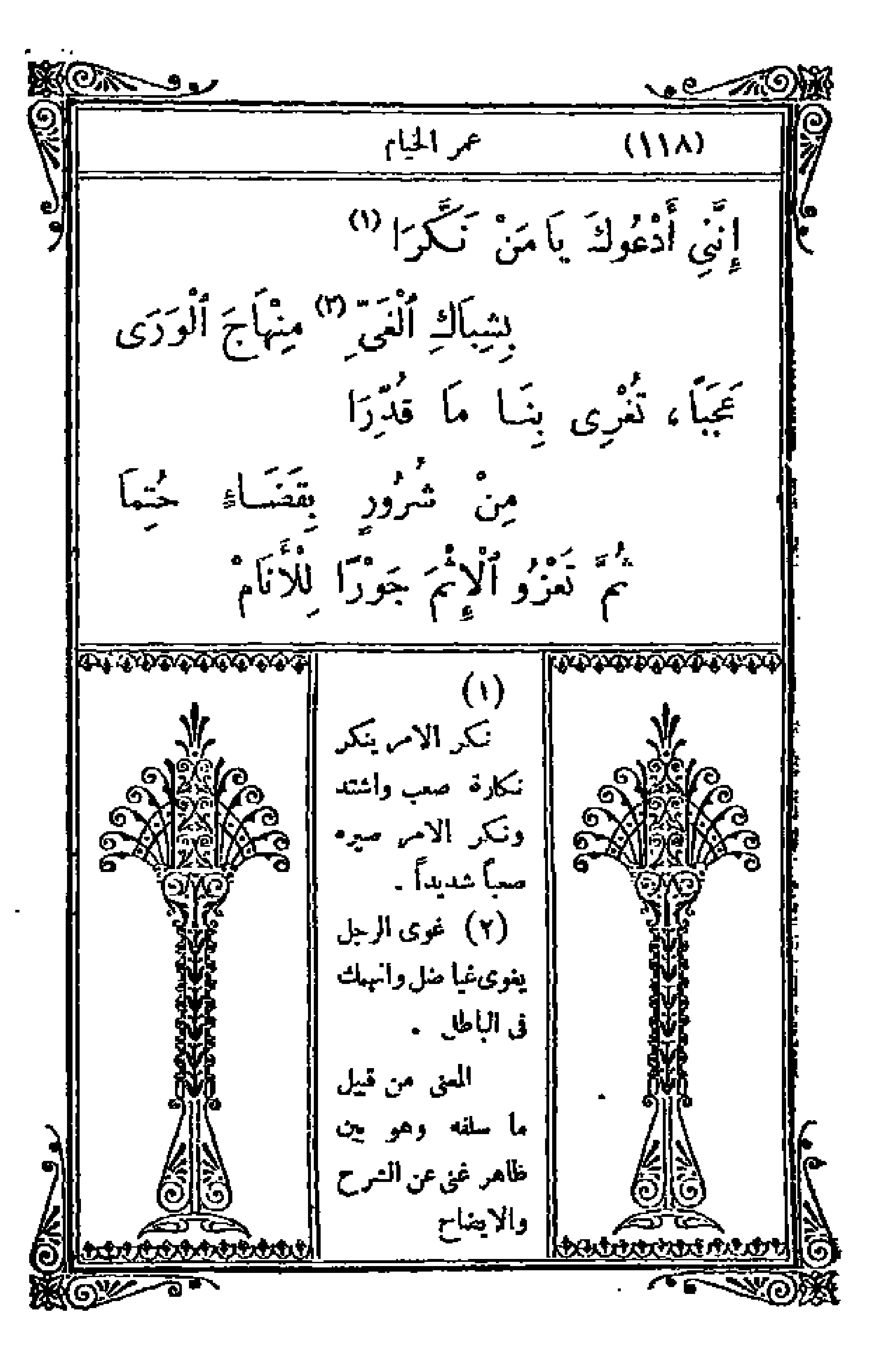
كَيْفَ يُنْهَى - مُوعَدًا بِالْهَاوِيَهْ

أَنْ يُدَانِي مَا بِهِ قَدْ أُغْرِمَا

يَا لَقَوْمِي أَيُّمَا حَيْفٍ(١) يُسَامْ

(١) الحيف الجور والظلم .

المعنى : زينت الدنيا للانسان واغرته بها دواعي الشهوات والنفس الضالة فكيف والحالة هذه ينهى عن الانغماس في لذاتها والانهماك في مطاربها مهددا بالنار المحرقة — أليس هذا منتهى الظلم وأقصى غاية الاجحاف ؟ .



إِنِّي أَدْعُوكَ يَا مَنْ نَكَرَا (١)

بِشِبَاكِ ٱلْغَيِّ (٢) مِنْهَاجَ ٱلْوَرَى

عَجَبًا، تُغْرِي بِنَا مَا قُدِّرَا

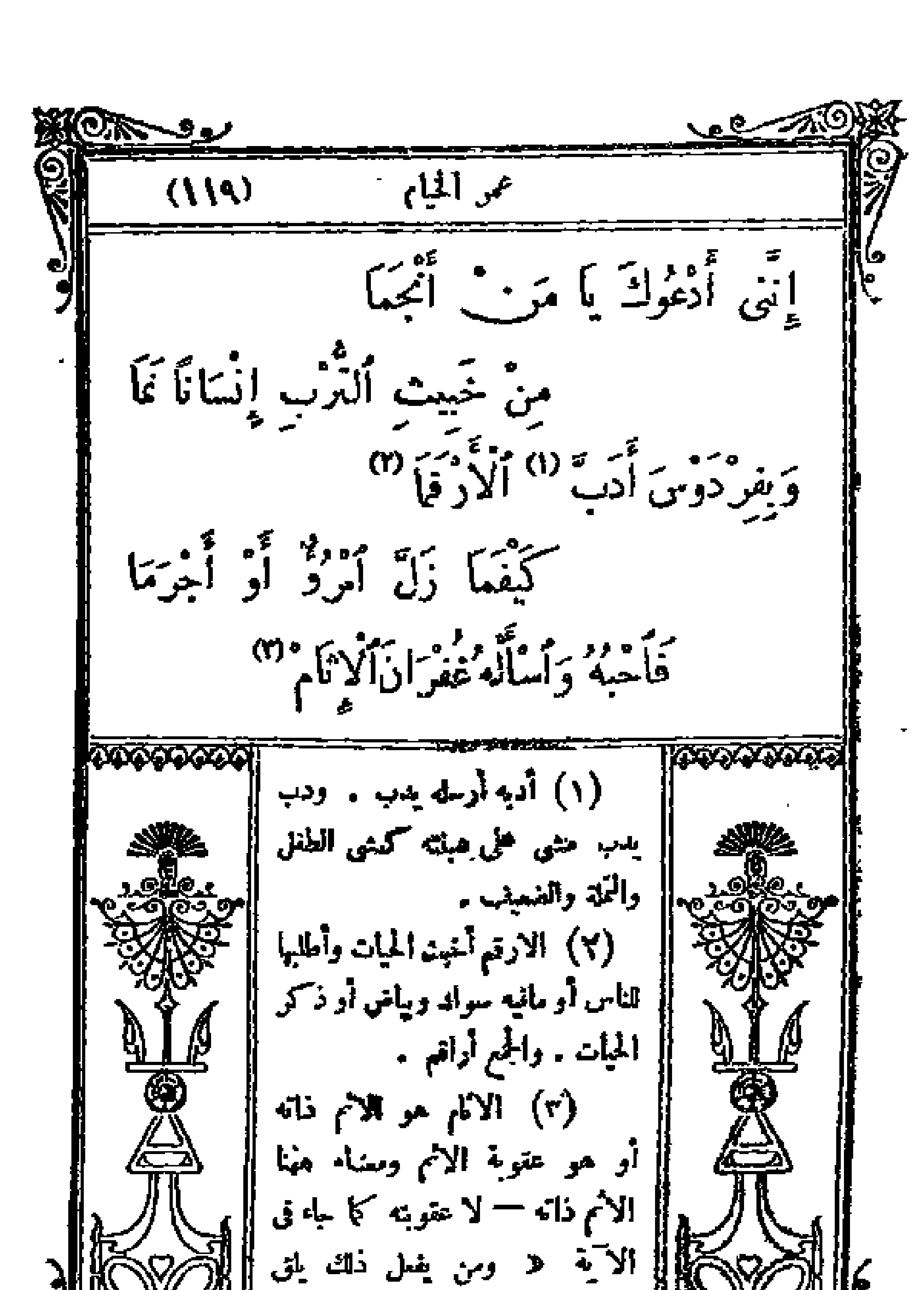
مِنْ شُرُورٍ بِقَضَاءٍ حُتِمَا

ثُمَّ تَعْزُو ٱلْإِثْمَ جَوْرًا لِلْأَنَامْ

(١) نكر الامر ينكر نكارة صعب واشتد ونكر الامر صيره صعباً شديداً .

(٢) غوى الرجل يغوى غيا ضل وانهمك فى الباطل .

المعنى من قبيل ما سلفه وهو بين ظاهر غنى عن الشرح والايضاح



إِنَّنِى أَدْعُوكَ يَا مَنْ أَنْجَمَا

مِنْ خَبِيثِ التُّرْبِ إِنْسَانًا نَمَا

وَبِفِرْدَوْسٍ أَدَبَّ (١) الأَرْقَمَا (٢)

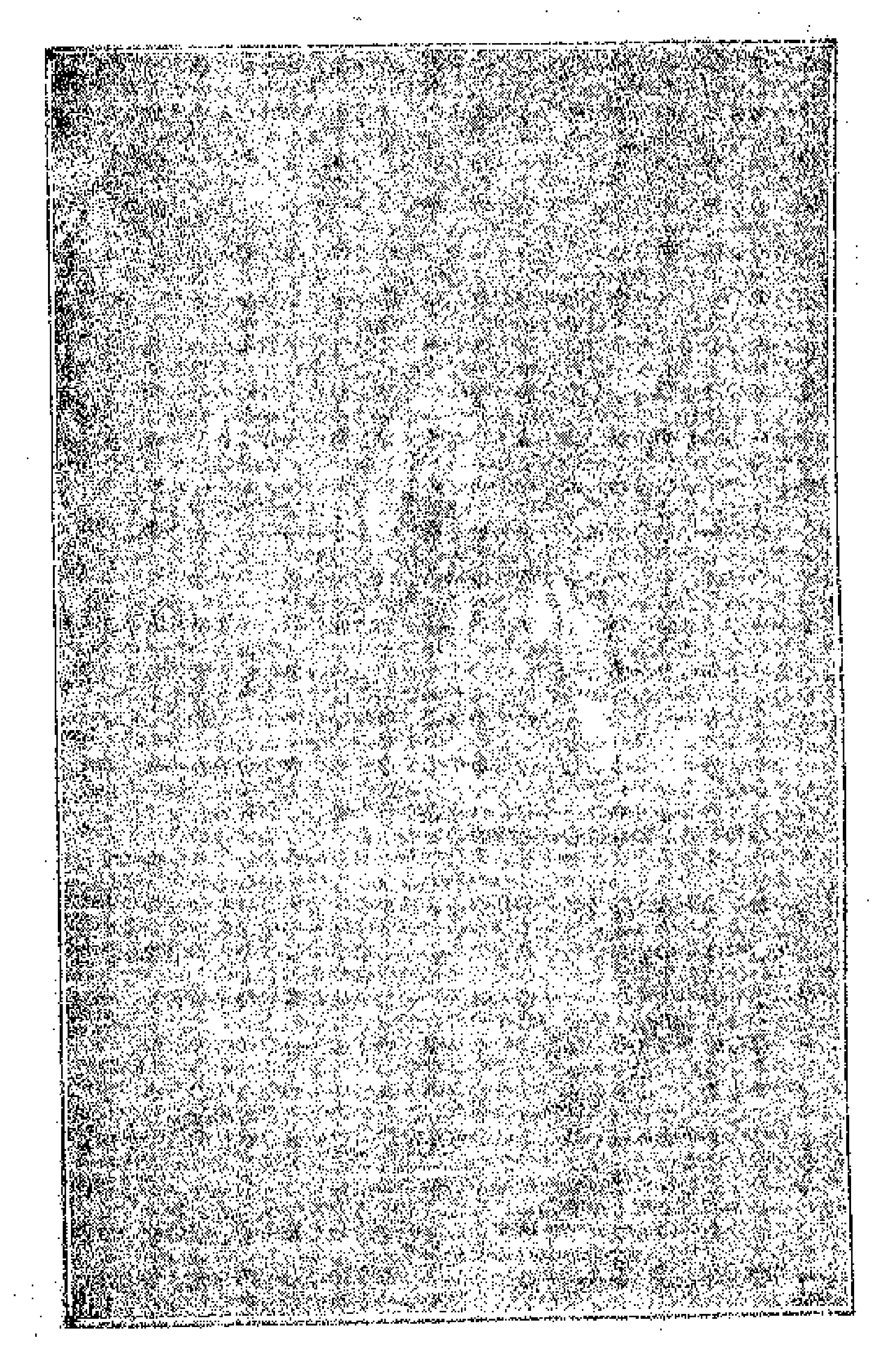
كَيْفَمَا زَلَّ امْرُؤٌ أَوْ أَجْرَمَا

فَأَحِبُّهُ وَأَسْأَلُهُ غُفْرَانَ الإِثَامِ (٣).

(١) أدبه أرسله يدب . ودب يدب مشى على هينته كمشى الطفل والنملة والضعيف .

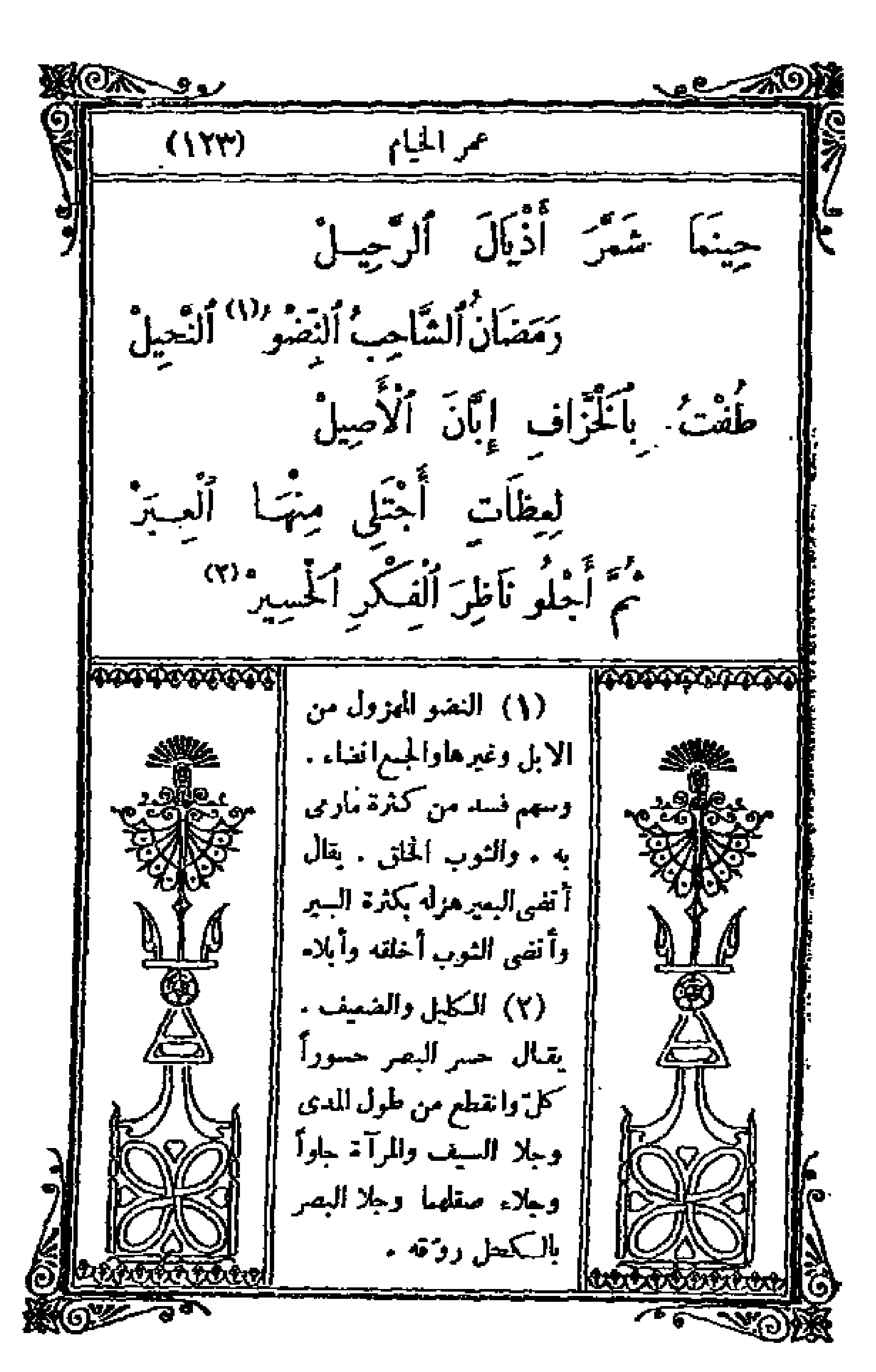
(٢) الارقم أخبث الحيات وأطلبها للناس أو مافيه سواد وبياض أو ذكر الحيات . والجمع أراقم .

(٣) الاثام هو الاثم ذاته أو هو عقوبة الاثم ومعناه هنا الاثم ذاته — لا عقوبته كما جاء فى الآية « ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة » .



* فاحسُ جلدًا خمرة الموت الزؤام *   (صفحة ٧٩)

النشيد الثالث



حِينَمَا شَمَّرَ أَذْيَالَ الرَّحِيلْ

رَمَضَانُ الشَّاحِبُ النِّضْوُ(١) النَّحِيلْ

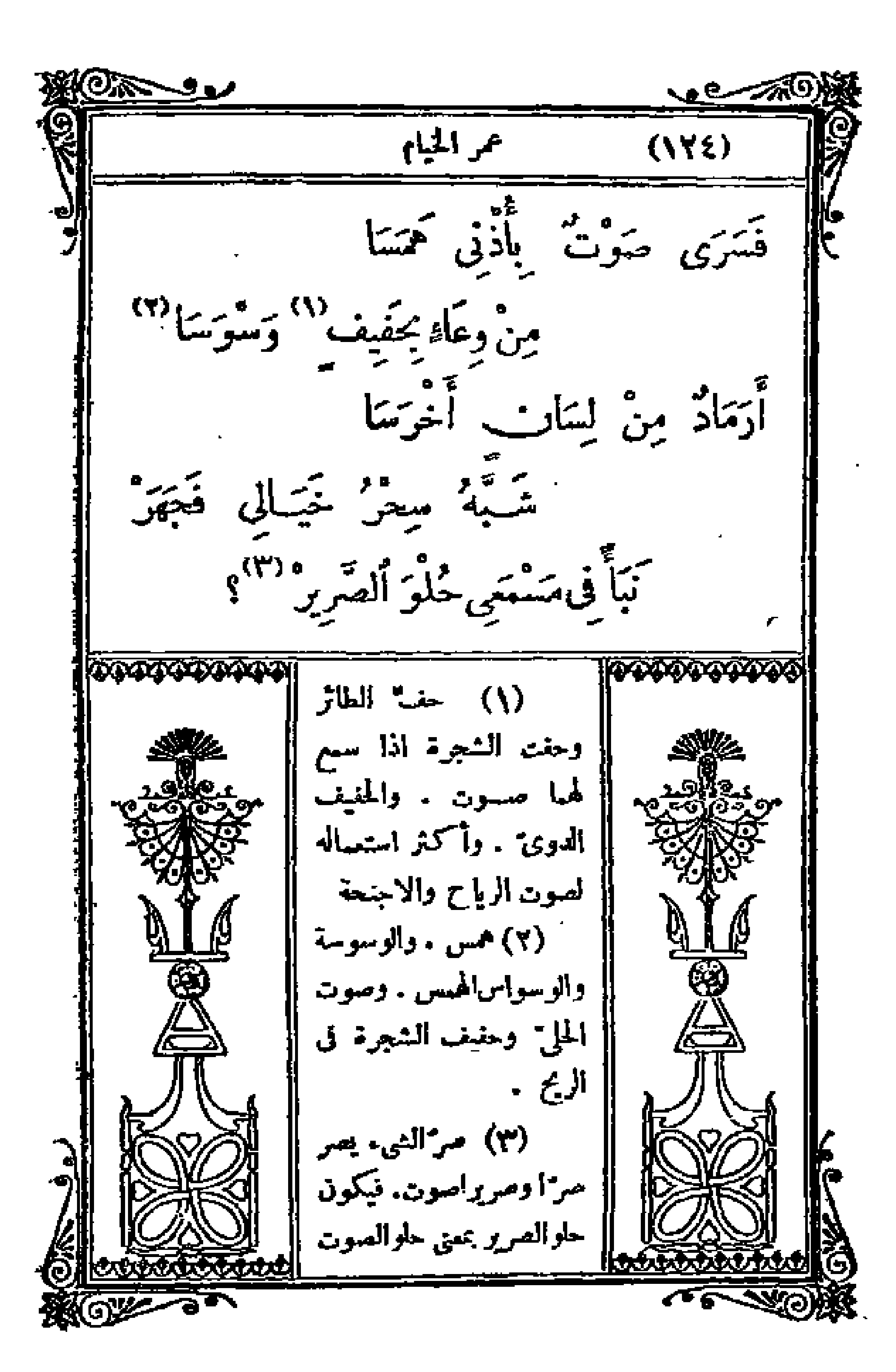
طُفْتُ بِالْخَزَافِ إِبَّانَ الأَصِيلْ

لِعِظَاتٍ أَجْتَلِي مِنْهَا الْعِبَرْ

ثُمَّ أَجْلُو نَاظِرَ الْفِكْرِ الْحَسِيرْ(٢)

(١) النضو المهزول من الابل وغيرها والجمع انضاء. وسهم فسد من كثرة مارمى به. والثوب الخلق. يقال أنضى البعير هزله بكثرة السير وأنضى الثوب أخلقه وأبلاه

(٢) الكليل والضعيف. يقال حسر البصر حسوراً كلّ وانقطع من طول المدى وجلا السيف والمرآة جلواً وجلاء صقلهما وجلا البصر بالكحل روّقه.



فَسَرَى صَوْتٌ بِأُذْنِي هَمَسَا

مِنْ وِعَاءٍ بِحَفِيفٍ(١) وَسْوَسَا(٢)

أَرَمَادٌ مِنْ لِسَانٍ أَخْرَسَا

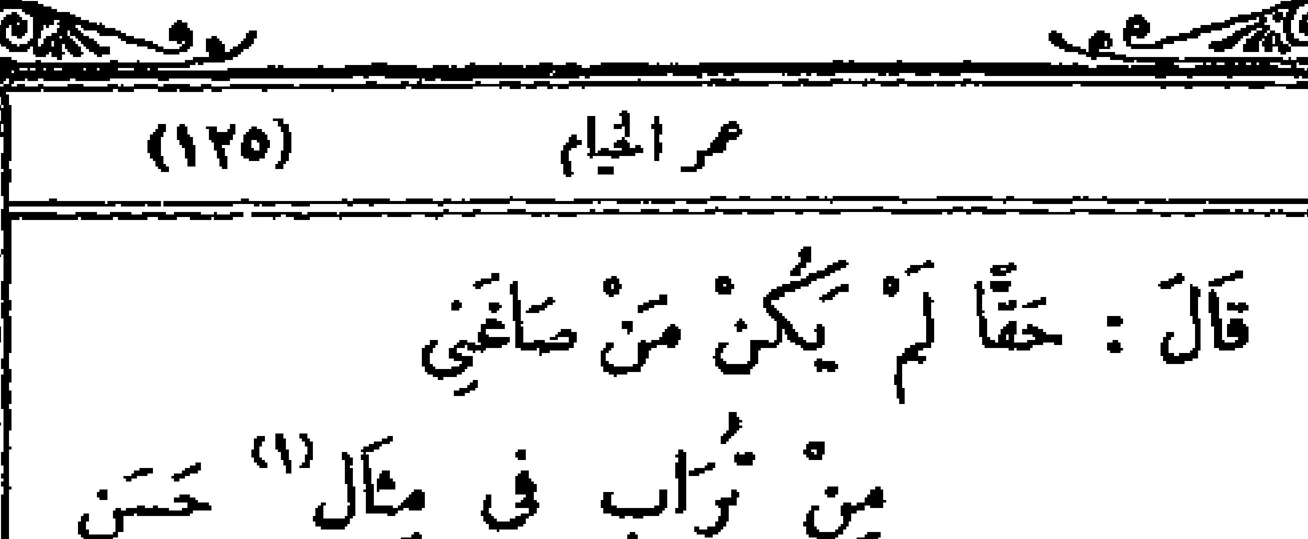
شَبَّهُ سِحْرُ خَيَالِي فَجَهَرْ

نَبَأً فِي مَسْمَعِي حُلْوَ الصَّرِيرِ(٣)؟

(١) حفّ الطائر وحفت الشجرة اذا سمع لها صوت . والحفيف الدوىّ . وأكثر استعماله لصوت الرياح والاجنحة

(٢) همس . والوسوسة والوسواس الهمس . وصوت الحلىّ وحفيف الشجرة فى الريح .

(٣) صرّ الشيء يصر صرّا وصريرا صوت . فيكون حلو الصرير بمعنى حلو الصوت



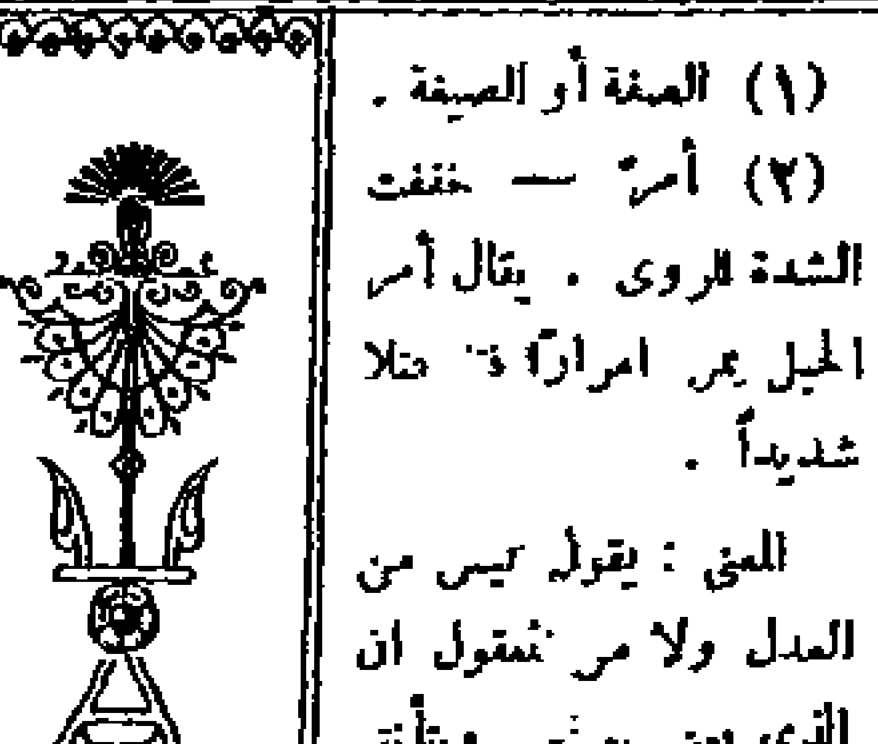
قَالَ : حَقًّا لَمْ يَكُنْ مَنْ صَاغَنِي

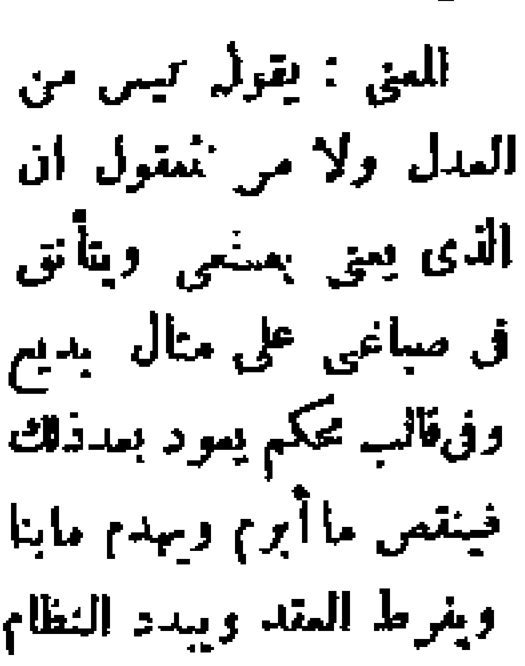
مِنْ تُرَابٍ فِي مِثَالٍ[1] حَسَنِ

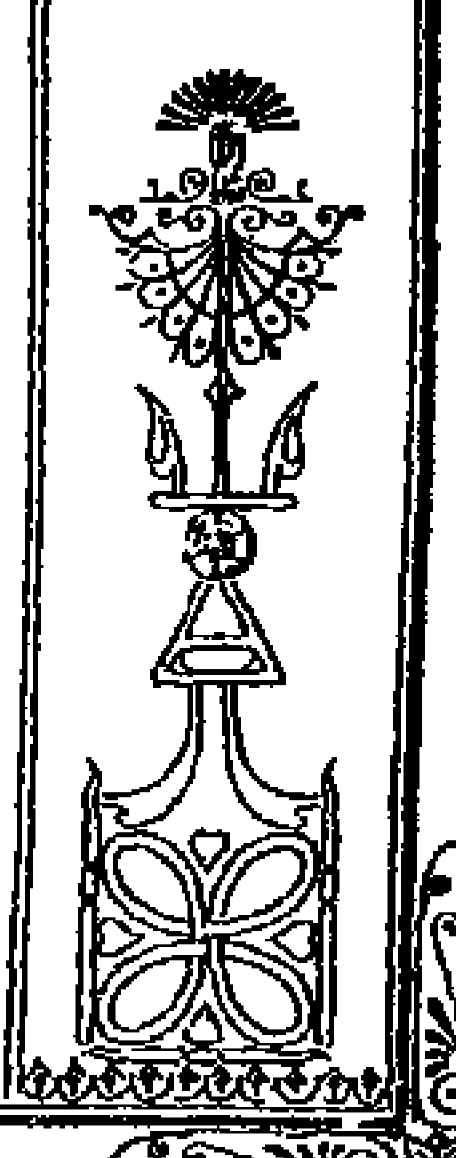
يُبْدِعُ ٱلصُّنْعَ بِسَبْكٍ مُتْقَنِ

بَعْدَ ذَا يَنْقُضُ عَمْدًا مَا أَمَرْ[2]

يَفْرِطُ ٱلْعِقْدَ فَيَهْوِي فِي ٱنْتِثَارْ



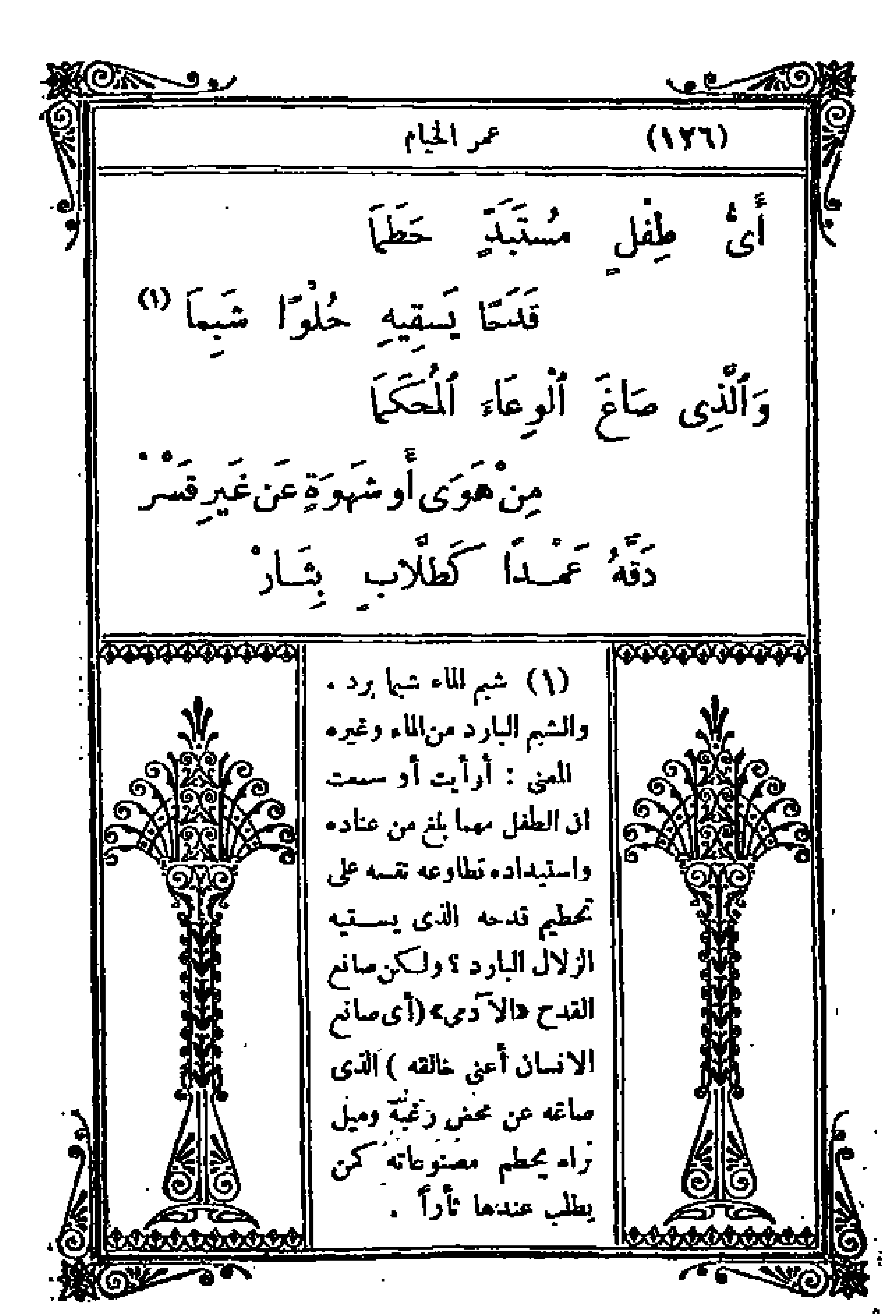




(١) الصنعة أو الصيغة .

(٢) أمرّ — خففت الشدة للروى . يقال أمر الحبل يمر امراراً فتله فتلا شديداً .

المعنى : يقول ليس من العدل ولا من المعقول ان الذى يعنى بصنعى ويتأنق فى صياغى على مثال بديع وفى قالب محكم يعود بعد ذلك فينقض ما أبرم ويهدم ما بنا ويفرط العقد ويبدد النظام



أَىُّ طِفْلٍ مُسْتَبِدٍّ حَطَمَا
قَدَحًا يَسْقِيهِ حُلْوًا شَبِمَا [1]
وَالَّذِى صَاغَ الْوِعَاءَ الْمُحْكَمَا
مِنْ هَوًى أَوْ شَهْوَةٍ عَنْ غَيْرِ قَسْرْ
دَقَّهُ عَمْدًا كَطَلَّابٍ بِثَارْ

(١) شبم الماء شبما برد . والشبم البارد من الماء وغيره

المعنى : أرأيت أو سمعت ان الطفل مهما بلغ من عناده واستبداده تطاوعه نفسه على تحطيم قدحه الذى يسقيه الزلال البارد ؟ ولكن صانع القدح «الآدمى» (أى صانع الانسان أعنى خالقه) الذى صاغه عن محض رغبة وميل نراه يحطم مصنوعاته كمن يطلب عندها ثأراً .

أَطْرَقَ الْكُلُّ مَلِيًّا ثُمَّ هَبْ
أَعوَجُ الْخَلْقِ سَقِيمٌ مُضْطَرِبْ [1]
قَالَ « وَيْلِي مِنْ أَخِي ظُلْمٍ نَسَبْ
« شَوْهَتِي لِي فَهَزَا بِي وَسَخَرْ
« هَل نَبَتْ [2] طَيْشًا يَدُ الْبَارِي فَجَارْ ؟ » .

(١) المضطرب من الابدان هو المسترخي في طول .

(٢) حادت عن القصد وجارت .

المعنى : أطرق الاقداح جميعاً برهة . ثم انبرى من بينها قدح مشوه معوج سقيم . فقال واصحابي من الذين يعيبون عليّ قبحي وينعون على سوآتي ويعددون سيئاتي فيهزأون بي ويسخرون ظلما وعدوانا . هل أنا الذي خلقت نفسي ؟ كلا . ولو كنت خالق نفسي لصغتها في أحسن مثال . وأفرغتها في أجمل قالب . ولكني أحسب الذي صنعني طاشت يده وجارت ساعة كان يصوغني ويصنعني .

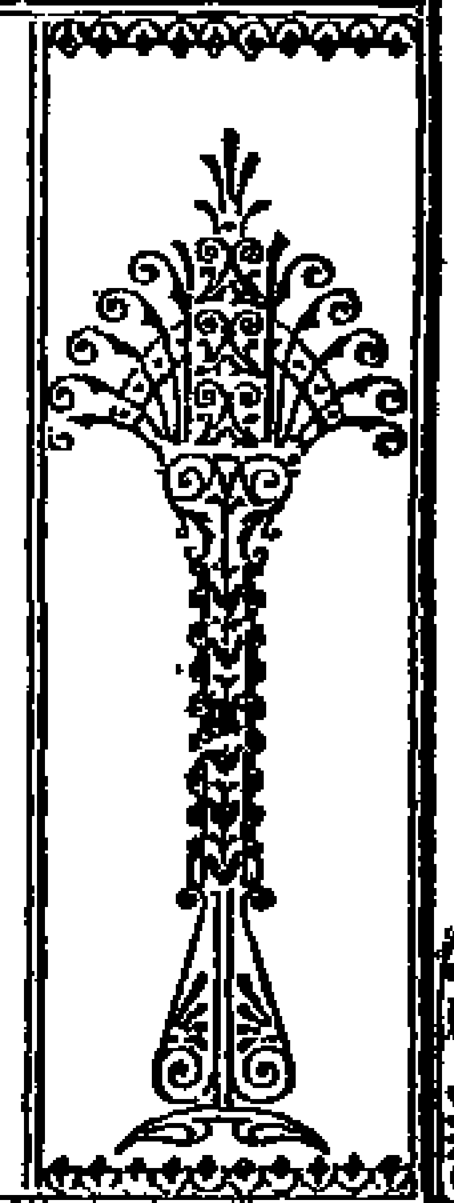
قَالَ كُوبٌ ثَالِثٌ « قَدْ أَكْثَرُوا

« مِنْ هُرَاءٍ عَنْ غَضُوبٍ يُنْذِرُ

« بِعَذَابٍ فِي جَحِيمٍ يُسْعَرُ

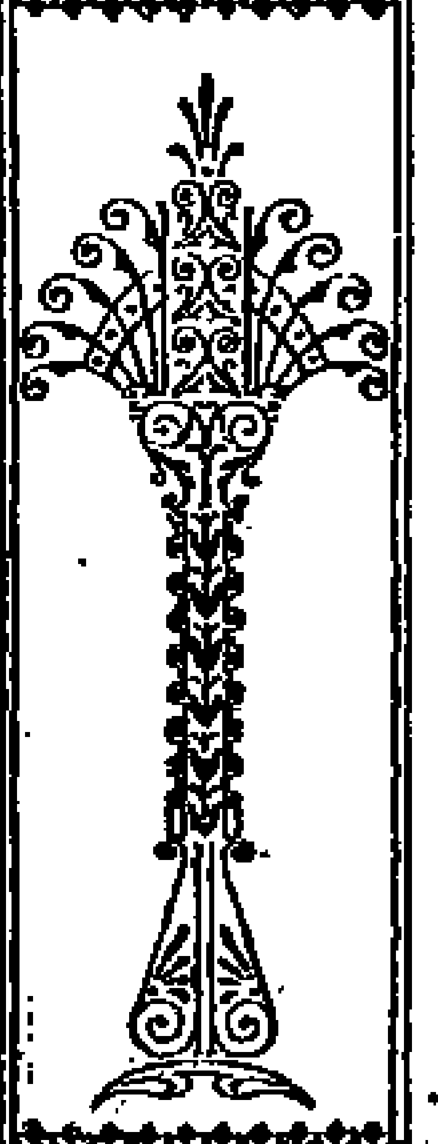
« كُوبَةٌ شَوَّهَهَا لَمَّا أَسَرْ (١)

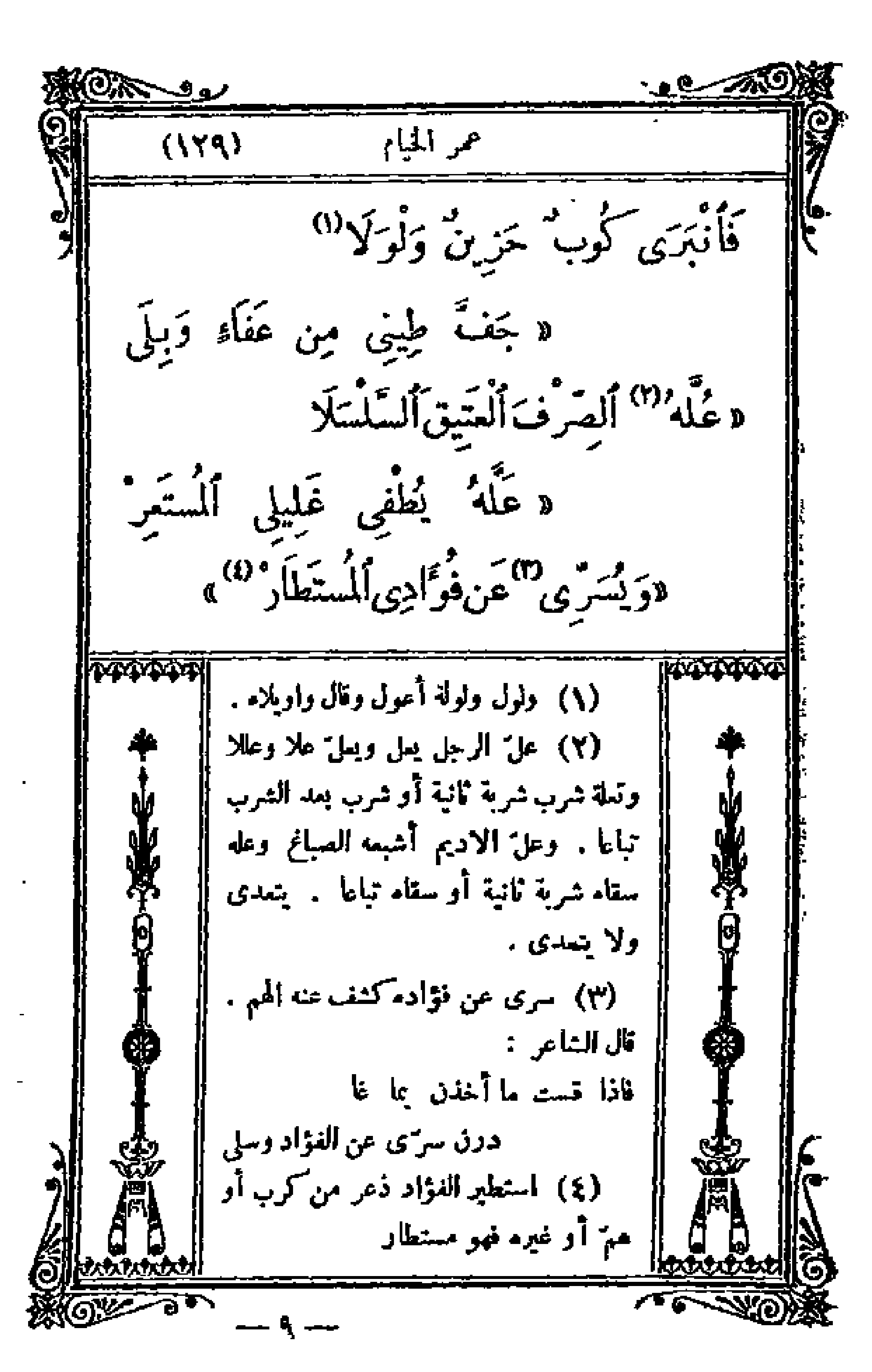
لَا تَخَفْهُ إِنَّهُ بِالْخَلْقِ بَارْ »



(١) أسر الله المخلوق خلقه ذا قوة وشدة: «نحن خلقناهم وشددنا أسرهم».

المعنى: قد أكثر الناس من نسبة الجبروت والانتقام الى الله وانه سيعذب فى نار الجحيم أناسا عوجا شوها هو الذى شوههم وعوجهم حين خلقهم وهذا لا يتفق مع عدالته وانصافه — فهذا لا يمكن أن يكون أبدا. فلا تخفه ولا تخشه فانه لطيف بعباده.





فَأَنْبَرَى كُوبٌ حَزِينٌ وَلْوَلَا(١)

« جَفَّ طِينِي مِن عَفَاءٍ وَبِلَى

« عُلَّه(٢) ٱلصِّرْفَ ٱلْعَتِيقَ ٱلسَّلْسَلَا

« عَلَّهُ يُطْفِي غَلِيلِي ٱلْمُسْتَعِرْ

« وَيُسَرِّي(٣) عَن فُؤَادِي ٱلْمُسْتَطَارْ(٤) »

(١) ولول ولولة أعول وقال واويلاه .

(٢) علّ الرجل يعل ويعلّ علا وعللا وتعلة شرب شربة ثانية أو شرب بعد الشرب تباعا . وعلّ الاديم أشبعه الصباغ وعله سقاه شربة ثانية أو سقاه تباعا . يتعدى ولا يتعدى .

(٣) سرى عن فؤاده كشف عنه الهم . قال الشاعر :

فاذا قست ما أخذن بما غا

درن سرّى عن الفؤاد وسلى

(٤) استطير الفؤاد ذعر من كرب أو همّ أو غيره فهو مستطار

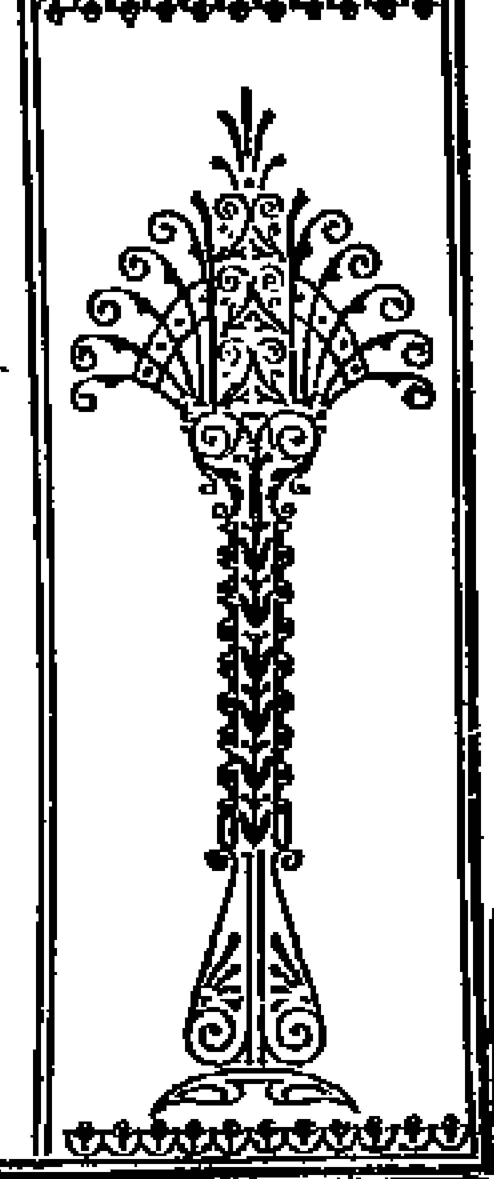
يَنْمَا الأَكْوَابُ فِي قِيلٍ وَقَالْ

لَاحَ وَهَاجَ السَّنَا قَوسُ الهِلَالْ

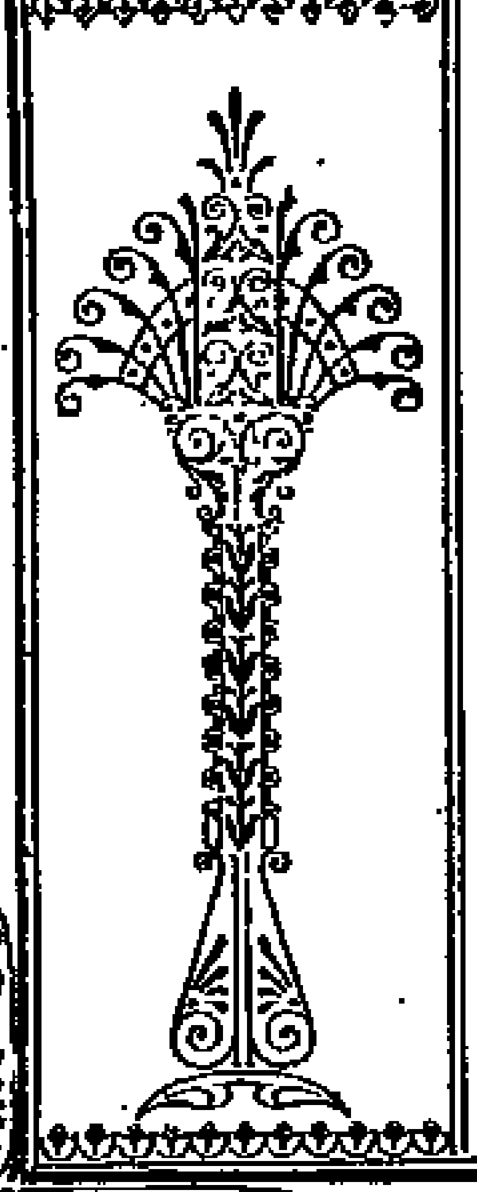
فَانْثَنَى مِن طَرَبٍ كُلٌّ وَمَالْ

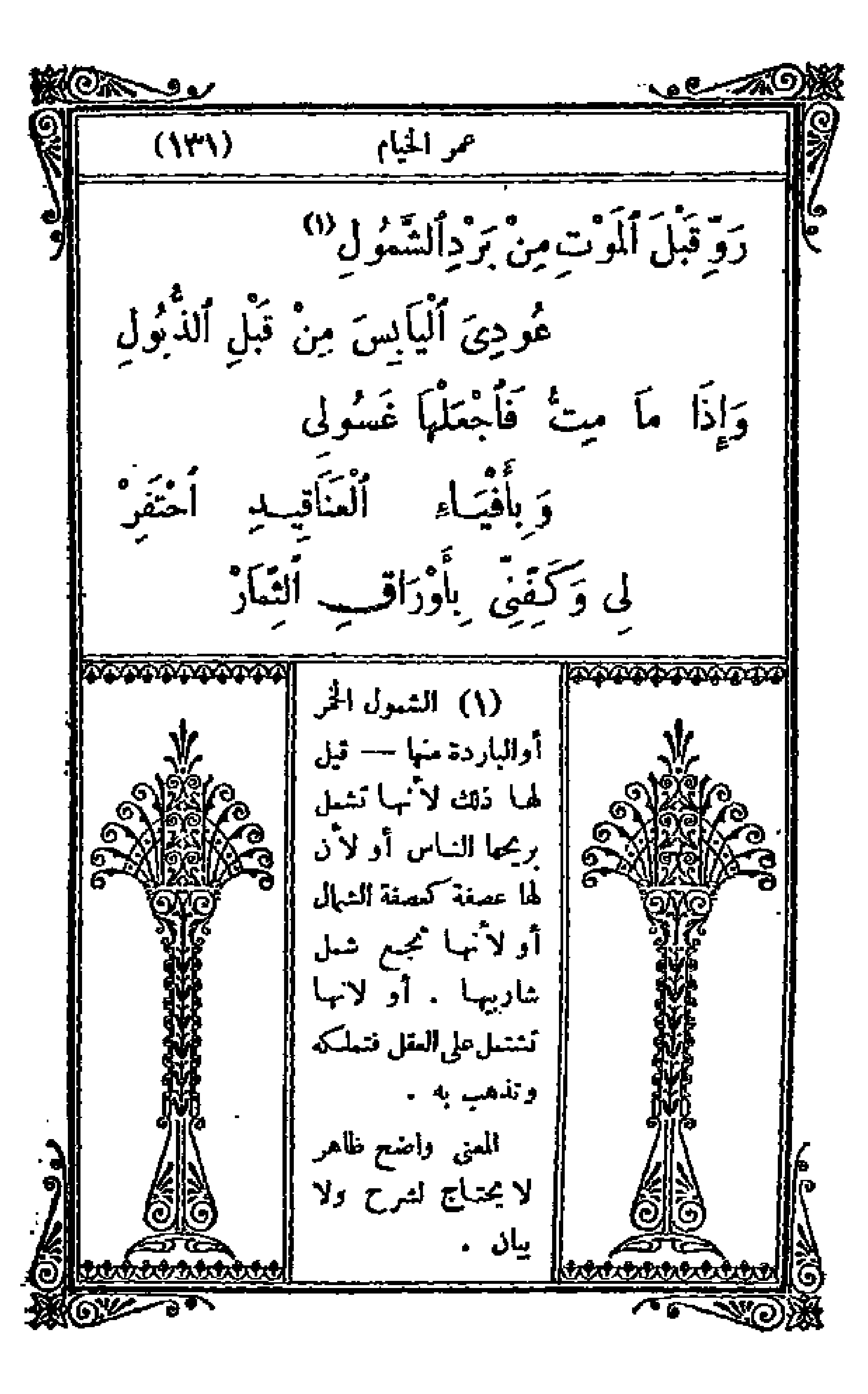
«زَفَّ بُشْرَى الأُنْسِ مَيمُونٌ أَغَرْ (١)

«وَانْجَلَتْ مِنْ خِدْرِهَا شَمسُ العُقَارْ»



(١) الاغر ما كان بجبهته غرة والحسن الابيض من كل شيء . والمراد به هنا الهلال . ويقال غرّ الوجه يغر غرراً وغرة وغرارة صار ذا غرة وحسن . والميمون المبارك يقال يمنه الله يمناً جعله مباركاً . ويمن الشيء على البناء للمجهول يمناً وميمنة كان مباركاً فهو أيمن وميمون





رَوِّ قَبْلَ ٱلْمَوْتِ مِنْ بَرْدِ ٱلشَّمُولِ(١)

عُودِيَ ٱلْيَابِسَ مِنْ قَبْلِ ٱلذُّبُولِ

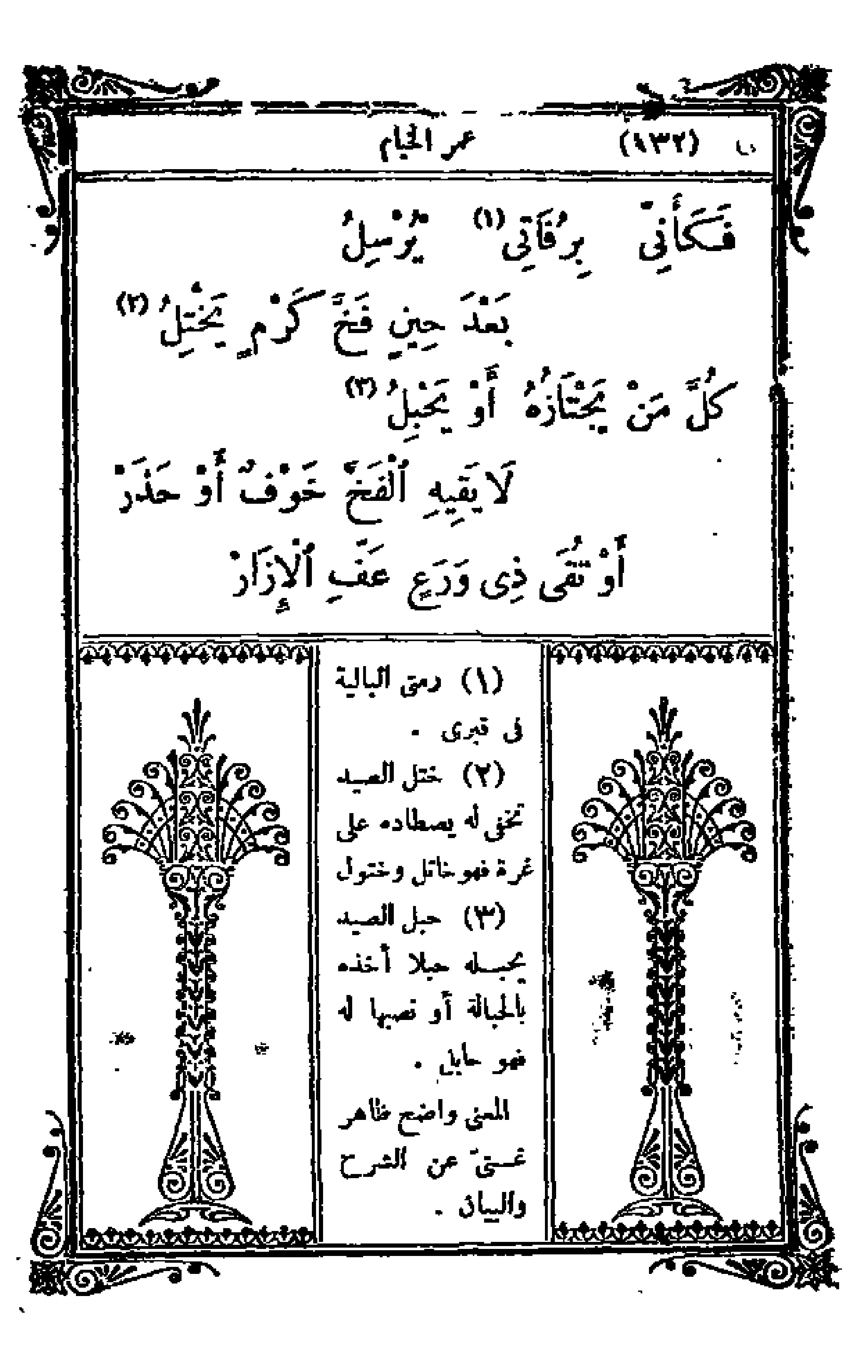
وَإِذَا مَا مِتُّ فَٱجْعَلْهَا غَسُولِي

وَبِأَفْيَاءِ ٱلْعَنَاقِيدِ ٱحْتَفِرْ

لِي وَكَفِّنِّي بِأَوْرَاقِ ٱلثِّمَارْ

(١) الشمول الخمر أوالباردة منها — قيل لها ذلك لأنها تشمل بريحها الناس أو لأن لها عصفة كعصفة الشمال أو لأنها تجمع شمل شاربيها . أو لانها تشتمل على العقل فتملكه وتذهب به .

المعنى واضح ظاهر لا يحتاج لشرح ولا بيان .



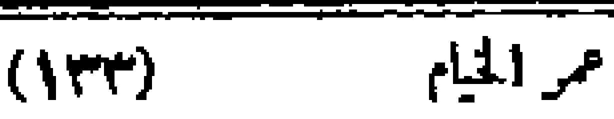
فَكَأَنِّي بِرُفَاتِي⁽¹⁾ يُرْسِلُ
بَعْدَ حِينٍ فَخَّ كَرْمٍ يَخْتِلُ⁽²⁾
كُلَّ مَنْ يَجْتَازُهُ أَوْ يَحْبِلُ⁽³⁾
لَا يَقِيهِ الْفَخَّ خَوْفٌ أَوْ حَذَرْ
أَوْ تُقَى ذِي وَرَعٍ عَفِّ الْإِزَارْ

(١) رمق البالية في قبرى .

(٢) ختل الصيد تخفى له يصطاده على غرة فهو خاتل وختول

(٣) حبل الصيد يحبله حبلا أخذه بالحبالة أو نصبها له فهو حابل .

المعنى واضح ظاهر غنى عن الشرح والبيان .

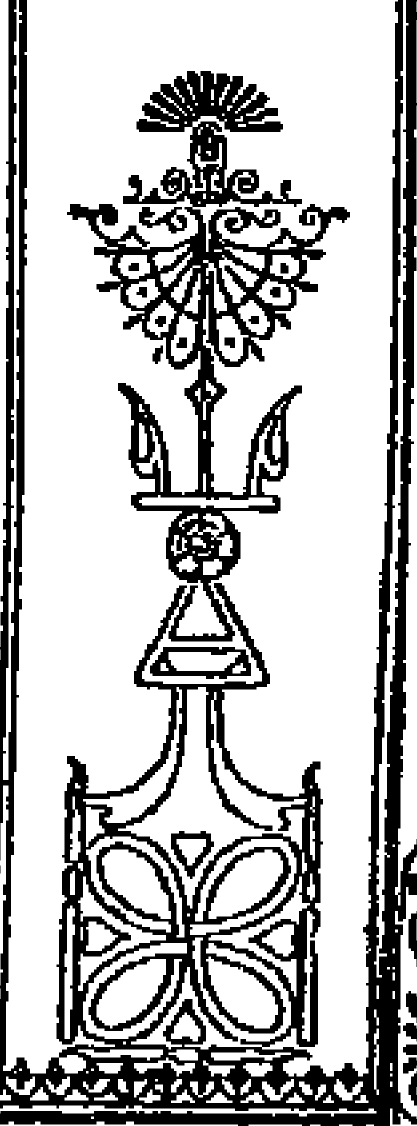


وَيْلَ حُرٍّ مِنْ دَوَاعِي شَهْوَتِهْ
أَرْخَصَتْ سَوْآتُهَا مِنْ قِيمَتِهْ

أَغْرَقَتْ أَحْسَابَهُ (١) فِي كُوبَتِهْ
وَأَبَاحَتْ عِرْضَهُ نَبْرُ (٢) الْوَتَرْ

وَذَرَتْ (٣) مَسْعَاهُ فِي رِيحِ الْخَسَارْ



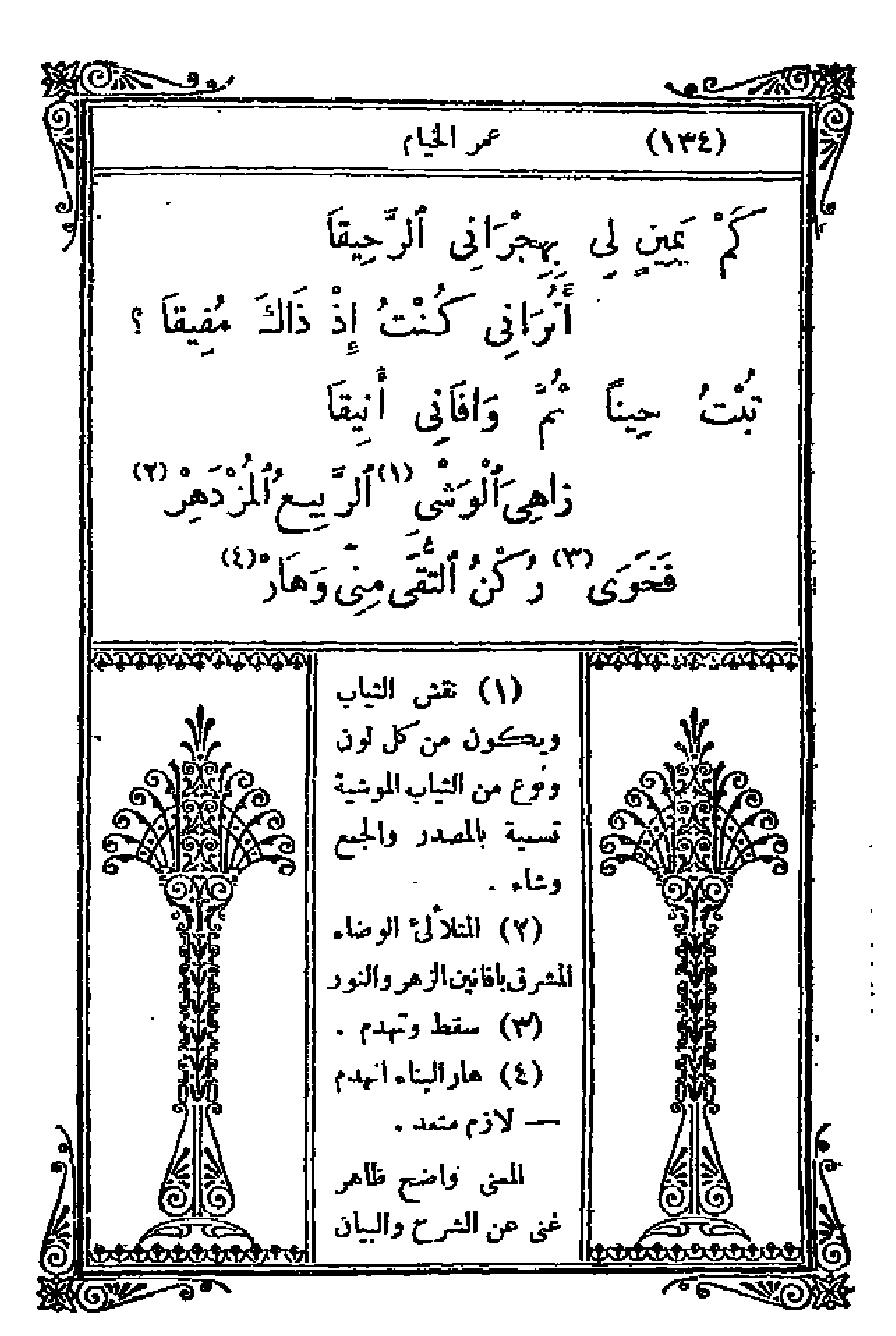


(١) جمع حسب وهو مايثبته الانسان لنفسه من الرفعة وما يعده لنفسه من المآثر .

(٢) نبر المغنى ينبر نبرا رفع صوته بعد خفض . فيكون نبر الوتر هو ارتفاع صوت العود أو غيره من آلات الطرب الوترية بالانغام الشجية

(٣) فرقت وبددت وأطارت .

المعنى واضح ظاهر غنى عن الشرح والبيان



كَمْ يَمِينٍ لِي بِهِجْرَانِي الرَّحِيقَا

أَتُرَانِي كُنْتُ إِذْ ذَاكَ مُفِيقَا ؟

تُبْتُ حِيناً ثُمَّ وَافَانِي أَنِيقَا

زَاهِيَ الْوَشْيِ [1] الرَّبِيعُ الْمُزْدَهِرْ [2]

فَهَوَى [3] رُكْنُ التُّقَى مِنِّي وَهَارْ [4]

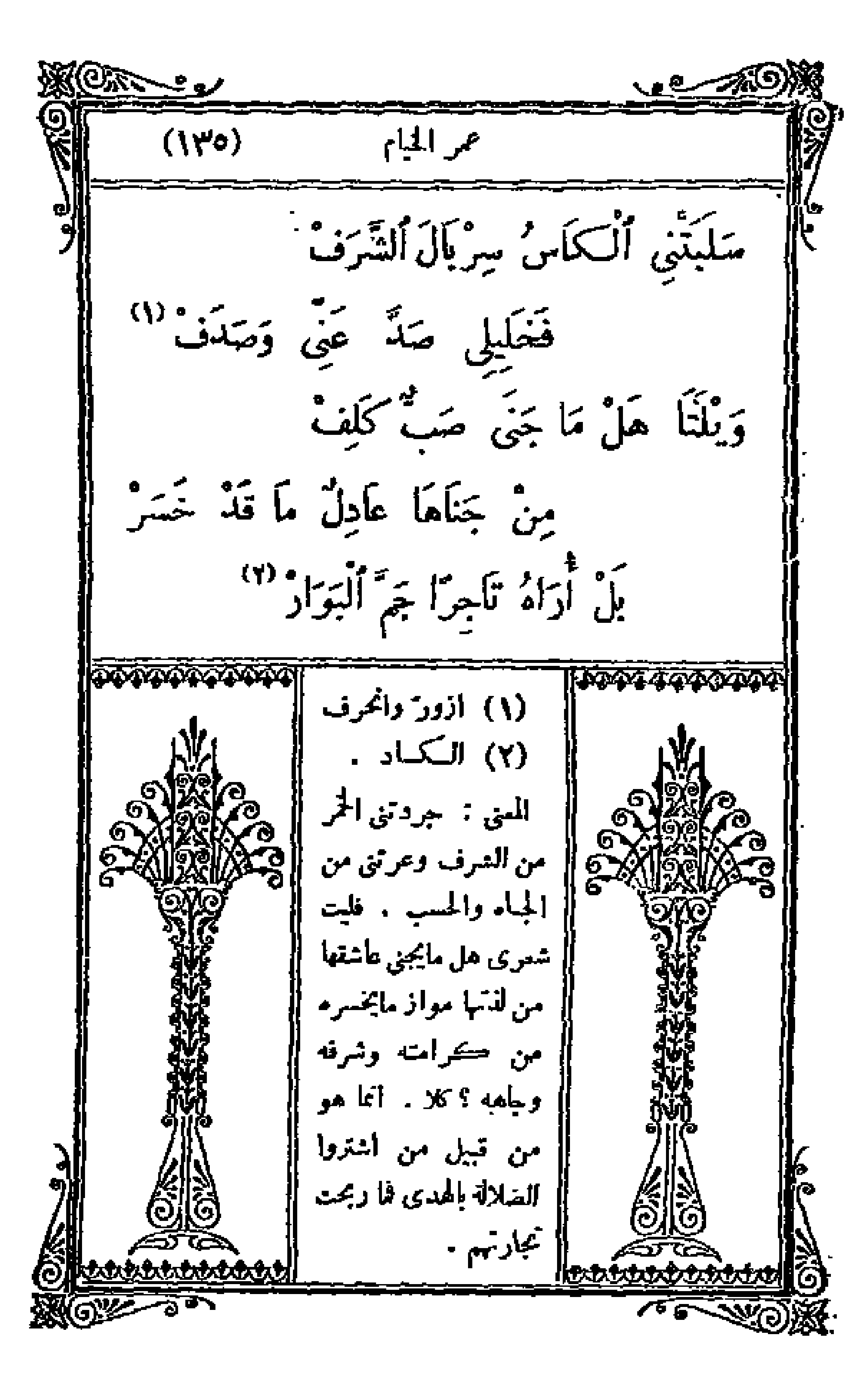
(١) نقش الثياب ويكون من كل لون ونوع من الثياب الموشية تسمية بالمصدر والجمع وشاء .

(٢) المتلألئ الوضاء المشرق بأفانين الزهر والنور

(٣) سقط وتهدم .

(٤) هار البناء انهدم — لازم متعد .

المعنى واضح ظاهر غني عن الشرح والبيان



سَلَبَتْنِي ٱلْكَاسُ سِرْبَالَ ٱلشَّرَفْ

فَخَلِيلِي صَدَّ عَنِّي وَصَدَفْ (١)

وَيْلَنَا هَلْ مَا جَنَى صَبٌّ كَلِفْ

مِنْ جَنَاهَا عَادِلٌ مَا قَدْ خَسِرْ

بَلْ أَرَاهُ تَاجِرًا جَمَّ ٱلْبَوَارْ (٢)

(١) ازورّ وانحرف

(٢) الكساد .

المعنى : جردتني الخمر من الشرف وعرتني من الجاه والحسب . فليت شعري هل مايجني عاشقها من لذتها مواز مايخسره من كرامته وشرفه وجاهه ؟ كلا . انما هو من قبيل من اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم .



لَهْفَتَا إِنْ غَاضَ نَهْرٌ يَفْهَقُ (١)

وَخَبَا وَرْدُ الرَّبِيعِ الْمُشْرِقُ

وَانْطَوَى سِفْرُ (٢) الشَّبَابِ الْعَبِقُ (٣)

وَهَزَارٌ (٤) نَاحَ حِيناً وَهَدَرْ (٥)

خَبِّرُوا أَنَّى أَتَى أَوْ أَيْنَ طَارْ

(١) فهق الاناء يفهق امتلأ حتى صار يتصبب .

(٢) الكتاب .

(٣) الطيب الرائحة .

(٤) الهزار العندليب طائر سجاع مترنم . قال الشاعر :

الصعو يرتع في الرياض وانما حبس الهزار لانه يترنم

والمراد بالهزار هنا الروح الآدمية .

(٥) هتف وسجع .

آهِ لَوْ أَبْدَى ٱلْيَبَابُ(١) ٱلسَّبْسَبُ(٢)

صَفْحَةَ ٱلْيُنْبُوعِ(٣) نُوراً يَسْكُبُ

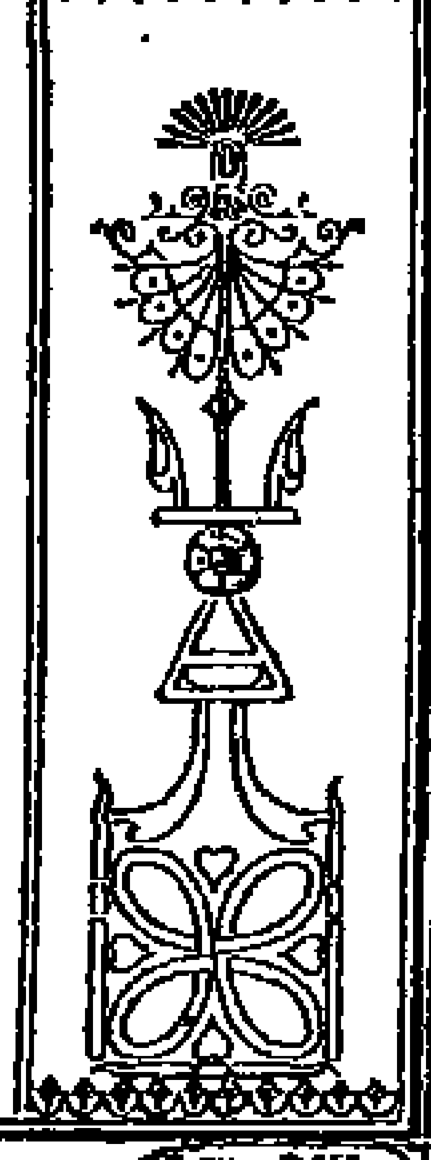
لِطَلِيحٍ(٤) فِي ٱلْفَيَافِي يَدْأَبُ *

لَهَفاً صَبًّا إِلَيْهِ وَٱنْحَدَرْ

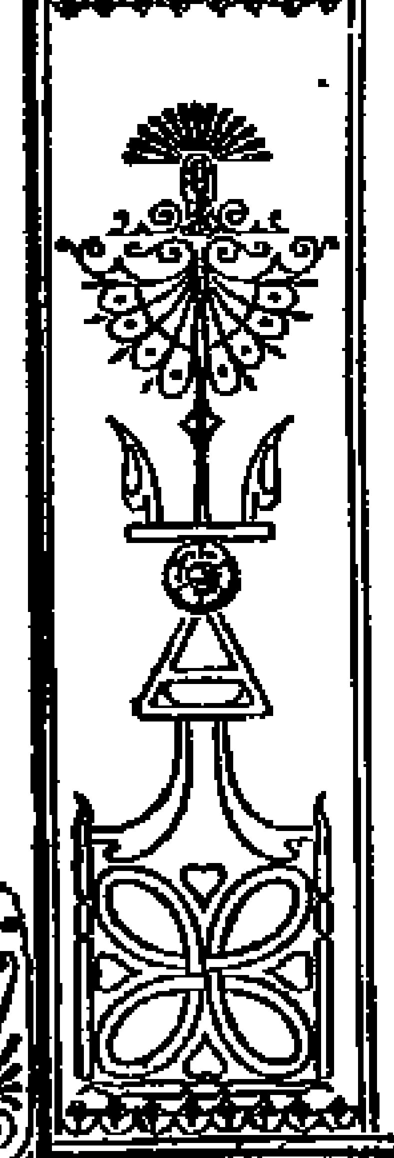
كَٱنْصِبَابِ ٱلسَّيْلِ يَهْوِي لِقَرَارْ



(١) الارض الخراب .
(٢) السبسب الفلاة القفرة والمراد به ههنا صحراء الحياة أى الحياة الدنيا التى يضل بها أهلها ويعطبون كما يضل بسالك الصحراء .
(٣) الينبوع منبع الماء والمراد به ههنا منبع النور الابدى ومصدر شعاع الحق الذى لا يلوح الا لابصار من انكشف لهم حجاب الغيب
(٤) الطليح الكليل المعي

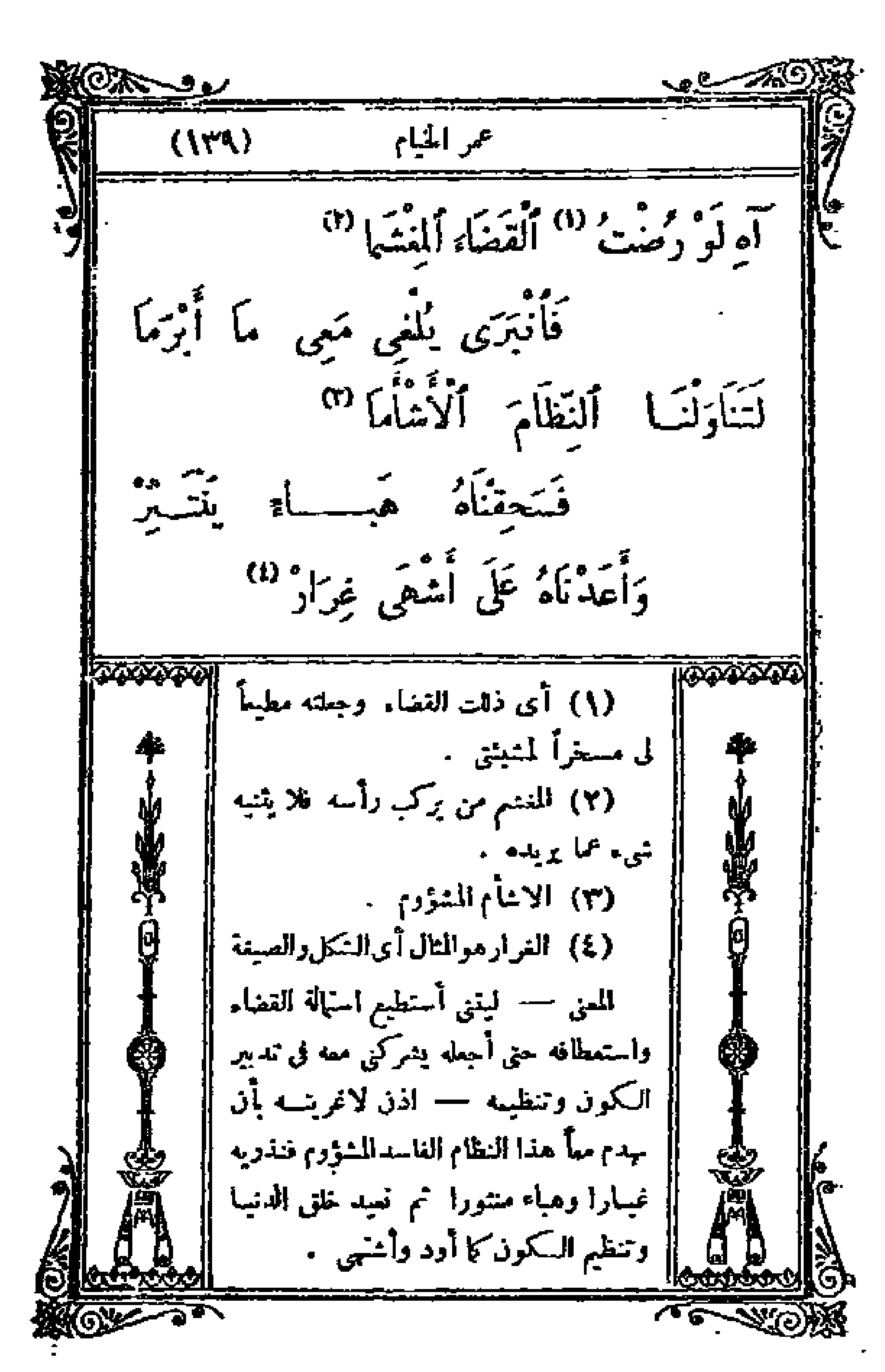


آهِ لَوْ أَدْرَكَ مَنْحُوسٌ شَقِي
دَفْتَرَ الْغَيْبِ وَلَمَّا يُطْبَقِ
لَدَعَا « يَا ذَا الْقَضَاءِ الْأَخْرَقِ
» ذَلِكَ أَسْمِي فَامْحُهُ مِمَّا سُطِرْ
أَوْ فَسَجِّلْهُ بِلَوْحٍ مِنْ نُضَارْ (١) »




(١) النضار الذهب .

المعنى : لو لحق المنحوس الشقى دفتر الاقدار الذى يكتب له فيه ما قدر عليه فى حياته من المصائب والاحزان — لو أدرك الشقى هذا الدفتر قبل اطباقه لصاح بالقلم الجارى بالمقادير والقسم « قف مكانك . وانظر الى اسمى من بين هذه الاسماء . فاما أن تمحوه البتة من العالم واما أن تسجله بصحيفة من ذهب [كناية عن السعادة والغبطة والنعيم] .



آهِ لَوْ رُضْتُ (١) ٱلْقَضَاءَ ٱلْمُغْشَمَا (٢)

فَأَنْبَرَى يُلْقِي مَعِي مَا أَبْرَمَا

لَتَنَاوَلْنَا ٱلنِّظَامَ ٱلْأَشْأَمَا (٣)

فَسَحَقْنَاهُ هَبَـاءً يَنْتَثِرْ

وَأَعَدْنَاهُ عَلَى أَشْهَى غِرَارْ (٤)

(١) أي ذللت القضاء وجعلته مطيعاً لي مسخراً لمشيئتي .

(٢) المغشم من يركب رأسه فلا يثنيه شيء عما يريده .

(٣) الاشأم المشؤوم .

(٤) الغرار هو المثال أي الشكل والصيغة

المعنى — ليتني أستطيع استمالة القضاء واستعطافه حتى أجعله يشركني معه في تدبير الكون وتنظيمه — اذن لاغريته بأن يهدم معاً هذا النظام الفاسد المشؤوم فنذريه غبارا وهباء منثورا ثم نعيد خلق الدنيا وتنظيم الكون كما أود وأشتهي .

بَدْرُ أُنْسِي مَنْ تَعَالَى فِي الْغُرَرْ (١)

عَنْ مِحَاقٍ (٢) وَسِرَارٍ (٣) وَبَهَرْ (٤)

لَهْفَ نَفْسِي، إِنْ طَوَى شَخْصِي الْقَدَرْ،

كَمْ بِهَذَا الرَّوْضِ يَبْغِينِي الْقَمَرْ

عَبَثًا مَا بَيْنَ وَرْدٍ وَبَهَارْ (٥)

(١) جمع غرة وهي البياض في الجبهة . ورجل أغر الوجه أبيض الوجه . وغرة الهلال طلعته . والمراد هنا بالغرر طلعات الاقمار أو الوجوه المشرقة . والغرر أيضاً الثلاث الليال الاول من كل شهر .

(٢) المحاق امتحاق الهلال آخر الشهر . قال الشاعر يصف امرأة قبيحة :

أتوني بها قبل المحاق بليلة

فكان محاقا كله ذلك الشهر

(٣) السرار اختفاء الهلال آخر ليلة أوليلتين من الشهر .

(٤) بهر القمر النجوم غمرها بضوئه .

(٥) البهار وهو أيضاً العرار نبت طيب الريح جعد له فقاحة صفراء ينبت أيام الربيع .

وَإِذَا أَسْرَيْتَ يَا صِنْوَ[1] الْقَمَرْ
سُحْرَةً تَجْلُو ظَلَاماً يَعْتَكِرْ[2]
بَيْنَ نَدْمَانٍ كَمَنْثُورِ الدُّرَرْ
فَتَرَيَّثْ حَيْثُمَا كُنْتَ أَقِرْ
وَاسْقِ حَرَّانَ الثَّرَى كَأْسَ عُقَارْ

(١) الصنو الاخ والشقيق والانثى صنوة وأصل الصنو انما هو فى النخل . يقال فلان صنو فلان أى أخوه ولا يسمى صنوا حتى يكون معه آخر فهما حينئذ صنوان . وكل واحد صنو صاحبه وأصله ان تطلع نخلتان من عرق واحد . والجمع صنوان برفع النون . وركيتان صنوان متجاورتان اذا تقاربتا ونبعتا من عين واحدة .

(٢) اعتكر الليل اشتد سواده والتبس واختلط . قال رؤبة :

* وأعسف الليل اذا الليل اعتكر * ووصف شاعر حاله فقال :

تقارب الخطو وسوء فى البصر
وكثرة النسيان فيما يذكر
وقلة النوم اذا الليل اعتكر
وترك الحسناء فى قبل الطهر

